المشرق

الآداب العربيَّة

منذ نشوب الحرب العموميَّة

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

خمس سنوات مرَّت علينا فلم يمكنا ان نوقف قرَّاءنا على ما ينشر في عالم الأدب من المطبوعات الشرقيَّة ترقيةً للغتنا العربيَّة سواء كانت آثاراً قديمة استخرجها الادباء من زوايا النسيان ام مآثر جديدة لابناء العصر . فسدَّ لهذه الثلمة قصدنا ان نكتب فصلاً في ذلك

ولسنا نؤكد ان نظرنا هذا يكون شاملاً مستوفياً لصعوبة المواصلات الحاليَّة بيننا وبين الاقطار الاجنبيَّة ولقلَّة المطبوعات الواردة الينا منها وانَّما نذكر ما اتَّصلت اليه يدنا فنكتفي بالقليل ان لم نحصل على الجلّ

اولاً مطبوعات بلاد الشام

منذ دخلت تركيَّة في الحرب في جانب الدول المركزيَّة أُصيبت الآداب العربيَّة بضربة اليمة كادت تقضي عليها وذلك لأنَّ العنصر التركيّ كان مبغضاً للعرب ولكلّ ما يحسبهُ من شأنهِ ان يرفع قدرهم ويحيي ذكرهم فوضعت الحكومة يدها على مطابع المرسلين في القدس الشريف وبيروت والموصل وضغطت على بقيَّة المطابع الأ ما كان ساعياً في مصالحها . وكذا يقال عن المدارس والمكاتب وكان هم أولي الامر التتريك في الآداب كما في السياسة

بيد ان زعماء الاتراك رأوا بعد حين أنهم لا يستطيعون ان يميتوا العربيّة ونصف اهل الممالك العثمانيّة لا يعرفون غيرها فعدلوا نوعاً عن طريقتهم وقصدوا ان يتخذوا العربيّة كوسيلة لتقريب المتكلمين بالضاد الى سياستهم . وتمكن مع ذلك بعض الافراد من نشر تآليف قليلة نذكرها جميعاً مع ما طُبع ايضاً منها بعد الهدنة الى هذه الايّام الاخيرة

١ بيروت

نشرت الحكومة التركية على نفقتها «مباحث علميّة وادبيّة» عن ولاية بيروت في مطبعة الولاية (سنة ١٣٣٦ — ١٣٣٣ هـ) ابرزتها اوّلاً باللغة التركيّة في ثلثة مجلّدات نُقل منها الى العربيّة مجلّدان وذلك بهمّة المدير الثاني في المدرسة السلطانيّة محمّد بهجت ومدير مدرسة التجارة محمّد رفيق التميمي (في ٤٣٦ و٥١٦ صفحة) . وهما يتناولان اوصاف جنوبي الولاية وقسم من شمالها مع تصاوير شتى . وهذا التأليف لا يخلو من عدّة فوائد نُقلت عن كتب مكتبتنا الشرقيّة التي كانت آنئذٍ في حوزة الدولة . غير انّ كثيراً من تلك الفصول تستدعي انتقاداً واسعاً لما اودعها كتبتها من الاحكام الضعيفة والآراء الواهنة والاغلاط التاريخيّة المتعدّدة فضلاً عن التعظيمات الكاذبة للدولة التركيّة ومجّس حقوق الاجانب والمرسلين وغير المسلمين عموماً

وقد سمعنا بعد ذلك بكتابة اثر آخر يحتوي وصف لبنان يكون كتتمّة للتأليف السابق فوكلت الينا وضعهُ حكومة لبنان ومتصرّفها اسماعيل حقّي بك بوساطة رجل العلم والفضل العميم حسين كاظم بك . فقمنا بهذا العمل مع بعض أولي الهمّة من الاختصاصيين البارعين وقد سبق لنا وصف هذا الكتاب في المشرق (١٨[١٩٢٠]: ٧٣ — ٧٤)

وممّا برز بمساعي الحكومة التركيّة كتاب نُشر بالتركيّة والافرنسيّة في الاستانة تحت عنوان «الحقيقة في المسألة السوريّة» شاعت في بيروت ترجمتهُ العربيّة والكتاب خلا من اسم مؤلفهِ الّا انهُ لجمال باشا وزير البحريّة وقائد الجيوش العام في طرفنا ضدّهُ كما يزعم تزكية نفسهِ ممّا اتاهُ من الاحكام العرفيّة والامر باعدام بعض وجوه الوطن . الّا انّ هذا الدفاع منقوض من اساسهِ اذ كانت مساعي الحزب

العربي علانية بعد اعلان الدستور وحرية المطبوعات وكانت الدولة واقفة على تلك الحركات الاستقلالية فسكتت عنها ولم تفكر بمحاكمتها الا يوم سيطرتها

ومن هذه المطبوعات ايضاً كتابان نشرا في المطبعة العلمية سنة ١٩١٦ الاول عنوانه « الرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية والشامية » تأليف الكاتب الشهير محمد افندي كرد علي وصف فيه « سياحة رجل العثمانيين وبطل الاسلام والمسلمين ... انور باشا الى المدينة المنورة وسورية وفلسطين » فاودعه ما حكمت عليه احوال تلك السنين من كلام التعظيم والتمليق ما لعله يمجه اليوم فهو ويتبرأ منه . وكذلك قل عن بعض فصوله في مجلة المقتبس . اما الكتاب الثاني فعنوانه « البعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية » تولى تصنيفه اربعة من كتبة الجرائد الاسلامية الافندية محمد باقر ومحمد كرد علي وحسين الجمال وعبد الباسط الانسي . وهم يضربون على وتر الكتاب السابق ويطرنون الدولة العثمانية فيرفعونها الى السماء بينما كانت تضغط على اهل جلدتهم العربية وتحكم عليهم ظلماً بالاعدام

وفي السنة ذاتها والمطبعة نفسها نشر باغراء العثمانيين السيد محمد حبيب العبدي الموصلي « ١ » « كتاب جنايات الانكليز على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة » وكفى باسمه دليلاً على ما يكنه صدره من الشواعر نحو الامة الانكليزية = ٢ « حبال الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام » يسعى فيه بتوحيد كلمة الاسلام وبالبرهان على « ان الخلافة الاسلامية قائمة بالدولة العثمانية » (ص ٩٦) ولا نظن ان كثيرين من المسلمين يسلمون له بذلك = ٣ « جمال التهنئة وتهنئة الجمال قصيدة رفعها الى « بطل الاتحاد الاسلامي ... احمد جمال باشا » = ٤ « صدى الحقيقة » وهي مجموع خطب المؤلف القاها في رحلته مع اصحاب البعثة العلمية السورية الى دار الخلافة وزيارة ساحة الحرب في الدردنيل

ومن هذه المجاملات للدولة التركية في ايام الحرب « العثمانيات » وهي قصائد لحضرة الخوري مارون غصن قالها في السلطان محمد رشاد وانور وجمال وعزمي وغيرهم ممن يلعنهم اليوم القاصي والداني . وقد اضاف اليها الاهليات وهي ابهى حسناً والطف لفظاً وارق معنى واصدق قولاً

ومن قبيل المواضيع السابقة « مختصر تاريخ المانية » عربه ش . حداد وطبعه

في مطبعة «جورنال دو بيروت». ومن الطبع انّهُ نسب اسباب الحرب الى الاتفاقيين والالمانية فقط الدفاع عن نفسها. وفي هذه المطبعة نشر ايضاً سنة ١٩١٦ الاديب الارمني ڤهرام ڤرجابيد بالفرنسويّة تاريخ بيروت (ص ٦٦) اخذًا عن مصادر معروفة اجملها كتابنا تاريخ بيروت اصالح بن يحيى

ومن الكتب الحسنة التي نُشرت في ايّام الحرب كتاب الحقائق الاقتصاديّة لعبد الغني سنّي بك مكتوبي ولاية بيروت (سنة ١٣٣٤ — ١٣٣٢) أعرب فيه عن معارفه الواسعة بعلم الاقتصاد واصوله وطرائقه المختلفة والوسائل الساعدة على توسيع نطاقه فجاء كتاباً مهمًّا يُنتفع بهِ في كلّ ادوار الحياة واختلاف السياسة

وكذلك طبع «عروف الارناؤوط في المطبعة العصريّة سنة ١٩١٥ كتاباً ادبيًّا دعاهُ «فردوس العرّي» ضمّنهُ رواية خياليّة لطيفة ليمجّد بها ذكر شاعر المعرّة ابا العلاء بعد ان لقي قبرهُ في وطنهِ خرباً مهملًا

امّا بعد الحرب فقد نُشر من كتب التاريخ في المطبعة العلميّة سنة ١٩١٩ لفقيد الدين والعلم المطران يوسف دريان اوّلًا كرّاس صغير «مستقبل لبنان المقرّر» ثمّ أُلحق بكتاب «مشع دعاهُ «نبذة تاريخيّة في اصل الطائفة المارونيّة واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر الى الآن» انتقدناهُ في المشرق (١٨ : ٣١٣). كما انتقدنا تاريخ حضرة الخوري انطون يمين اللبناني العنون «بلبنان في الحرب» (١٨ : ١٥٦)

ومن الكتب الادبيّة التي برزت حينئذٍ ديوان الشاعر المجيد الياس فيّاض ظهر الجزء الاوّل منهُ في المطبعة الاميركانيّة سنة ١٩١٨ في ٩٦ صفحة جمع فيه ما نظمهُ قبل الحرب وفي زمانها. بينها بعض القصائد التاريخيّة أحسن فيها الوصف — وممّا نُظم بعد ختام الحرب وقفة بين الماضي والحاضر للخوري نقولا ابي هنا الباسليّ المخلّصي في ٢٠ صفحة طُبعت في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩١٩ وقد اجاد فيها الناظم بوصف حالة لبنان في زمن الحرب ثم افراح اللبنانيين بدخول فرنسة في مواطنهم — وقد مرّ لنا تعريف منظومتين اخريين «العقد النضير» للبرديرط المسيو بطرس حبيقه (المشرق ١٨ : ١٥٧) ثم «الحرب العموميّة ليوسف الخوري البشعلاني (١٨ : ٢٣٤). وممّا ظهر آخرًا الجزء الاوّل من ديوان حليم دموس فيه منظوماتهُ

التي صنفها في المهجر او وضعها في لبنان وهو لا يقلّ عن ٣٥٩ صفحة في كلّ المواضيع الادبيّة من الشعر العصريّ . لا ينقص هذا العدد غير وتر المواضيع الدينيّة وهو اطربها نغماً . ولهذا الديوان مقدّمة في الشعر وآراء الشعراء والادباء فيه

ومن الادبيّات النثريّة محاضرة « لبنان الكبير » للكاتب الاجتماعي عبدالله بك رزق الله خير . ثمّ النسائيّات للاديب جرجي نقولا باز . نضيف اليها الجزء الاوّل من كتابنا « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة . وتذكار المئة الاولى لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة . وقد مرّ وصفها جميعاً في اعداد المشرق السابقة . وفي هذه المجلّة ظهرت عدّة مقالات تفيد الآداب العربيّة والتاريخ معاً لا حاجة الى ذكرها . اما الدينيّات فقد وصفنا ما عرفناهُ منها اعني كتابي حضرة الخوري يوسف داغر « البرهان الصريح في الدين الصحيح ومصباح الحقائق » ثمّ « المقالة الوفيّة في العبادة الحقيقية لربّ العذراء » تعريب المثلث الرحمات المطران يوسف دريان . و « الجلاء الاسرار المكنونة » للخوري بطرس القزح

٢ دمشق

نشر فيها الشيخ عبدالقادر افندي بدران في مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢ (١٩١٤ — ١٩١٥) المجلّدين الرابع والخامس من تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر وهما يتناولان اسماء الذين سكنوا دمشق او دخلوها مباشرةً باسم الحارث بن هشام الى آخر الزاي (زيد بن الحسن) . ويسوؤنا القول بان هذه الطبعة تخلو من كلّ ما يستحبّهُ العلماء في نشر الآثار القديمة من مقابلة النسخ والتذييلات المختلفة والافادات التاريخيّة واللغويّة الخ . وطُبع ايضاً في اثناء الحرب بعض اعداد مجلّة المقتبس في مطبعة الشرق (التي نُقلت اليها ادوات مطبعتنا بعد خرابها) وفيها مقالات مفيدة (نستثني منها المقالات السياسيّة تزلّفاً الى احمد جمال باشا واصحابه) كوصف مخطوطات قديمة وايراد آثار منسيّة مثل كتاب البيزرة وتراجم كبار الرجال وغير ذلك من الفصول الممتعة التي تُشوّقنا الى عود صاحبها الاديب الى خدمة العلم والوطن قريباً — ومما طُبع ايضاً في الفيحاء سنة ١٣٣٣ و١٣٣٤) الاسرار الكونيّة في الكرة الارضيّة جزءان لمحمّد علي المجابريّ وهو مختصر مدرسيّ في الجغرافية الطبيعيّة والسياسيّة . ثمّ

« كنز النجاة في علم الاوقات » للشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي يحتوي شيئاً من مبادئ علم الفلك مما لا يروي غليلاً . ثم يضاف الى هذه المنشورات كتاب طُبع لترويج السياسة الجاليّة وهو « ايقاظ الاخوان لدسائس الاعداء وما يقتضيه حال الزمان » للشيخ اسمعيل الصلايحي احد قضاة تونس سابقاً

امّا ما طُبع بعد الحرب فكتاب « مناهج التربية والتعليم في علم البيداغوجيا » عرّبهُ بايعاز ادارة معارف سوريّة اديب التقي البغداديّ وطبعهُ في مطبعة المفيد سنة ١٣٣٧ . وفي هذه المطبعة نُشر كتاب « العصر الدموي » لناصيف بك ابي زيد الموصوف سابقاً

٣ حلب

لا نعرف من مطبوعاتها شيئاً في اوان الحرب الّا كتاباً نقلهُ عن الالمانيّة فليكس افندي فارس وطبعهُ في المطبعة الماروتيّة سنة ١٩١٦ وكفى باسمه دليلاً على انّهُ نُشر لمجاملة الالمان وربح رضاهم بعد دخول تركيّة في محالفتهم وهو « ارتقاء المانيا الوطني في مدّة الخمس والعشرين سنة الاخيرة . للدكتور كارل هلفريخ »

٤ القدس الشريف

طُبع في بيت المقدس بعد الحرب « الزفرات » وهي قصائد لاسكندر الخوري البتجالي سنة ١٩١٩ بينها ما يشعر باحوال البلاد السيئة في زمن الحرب . وقد استأنف الكاتب الاديب خليل بيدس نشر مجلّته النفائس العصريّة منذ اواسط ايلول سنة ١٩١٩ فوصل لنا منها عشرة اعداد فقط مطبوعة في مطبعة دار الايتام . امّا مطبعة دير الروم الارثدكس فجُدّدت بعض الكتب الطقسيّة وفيها طُبعت مجلّة « بيت لحم » كان ظهورها في ايلول ١٩١٩ ايضاً

٥ لبنان

عادت بعد الحرب مطبعة القديس يوسف في حريصا (لبنان) الى خدماتها الجليلة سابقاً وكان اوّل مآثرها احياء مجلّتها الغرّاء « المشرق » التي ينشئها حضرة الآباء البولسيين الافاضل ويودعونها الفصول الشائقة الدينيّة والادبيّة والتاريخيّة والفكاهيّة مع اتقان طبعها . وفي هذه المطبعة ايضاً نُشر سفران حسنان سبق لنا الكلام في

تعريفها» كتاب القتاري في نكبات النتاري» بقلم شاهد عيان . وتعريب «كتاب العفاف» بقلم حضرة الخوري بطرس ابي زيد . امّا بقيّة مطابع لبنان في جونية وبعبدا وبيت شباب وكفرشيما وجبيل فحتّى الآن لم يظهر شيء من مطبوعاتها . ومثلها صيدا، وطرابلس ما عدا بعض الجرائد

ثانياً مطبوعات القطر المصري

لا يسعنا ان نصف كلّ مطبوعات مصر في هذه الحقبة الاخيرة . وانّا نكتفي بذكر اخصها واوّل الكلّ كتاب صُبح الاعشى لاحمد بن علي الشهير بالقلقشندي المتوفّى سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) وهو كدائرة معارف كتاب الدواوين يدلّ على سعة نطاق معاملات دولة المماليك المصريّة ووفرة عمالها وتعدُّد اشغالها الدينيّة والمدنيّة والسياسيّة والادبيّة والصناعيّة وكلّ هذه المعاملات تحتاج الى معارف جمّة سعى القلقشندي بحصرها في كتابه الذي باشرت بطبعه منذ السنة ١٩١٣ دار الكتب الخديويّة فانتهت منهُ في هذه المدّة الاخيرة بطبع الجزء الرابع عشر وهو ختام الكتاب فاستحقّت شكر محبي الآثار العربيّة على نشره وحسن طبعه . ولكان زاد شكرنا لها لو اضافت اليه تلك المحسّنات التي يزين بها المستشرقون مطبوعاتهم من مراجعة تآليفهم على نسخ مختلفة زيادةً للضبط ومن تذييلها بالملحوظات وانجازها بالفهارس . فلولا ذلك تفقد كل طبعة نصف قيمتها

ومن مطبوعات دار الكتب الخديويّة الحديثة ايضاً كتاب الخصائص طبعتهُ في مطابع الهلال وهو لاحد ائمّة العلوم اللغويّة ابي الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) وهو يتضمّن عدداً عديداً من الملحوظات اللغويّة المتفرّقة لا يُنتفع منها الّا باستقراء مضامينها او بوضع الفهارس الدالّة عليها فعسى ان يقوم بها المتولّون طبع الكتاب في آخر جزئهِ الثاني . وقد لحظنا في الابيات المستشهد بها بعض الاغلاط والروايات المشوّهة

وقد سعت ايضاً دار الكتب الخديويّة بنشر «كتاب الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز» في ثلثة اجزاء طبعتهُ في مطبعة المقتطف بمصر وهو للامام

يحيى بن حمزة العلويّ اليمني المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) غايتهُ اثبات اعجاز القرآن وانهُ يشتمل على افادات لغويّة جمّة وملحوظات ادبيّة دقيقة

ومما طبعتهُ تلك الدار في مطبعة المنار كتاب الاعتصام للامام ابي اسحاق ابرهيم الشاطبيّ المتوفى سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٨م) وضعهُ صاحبهُ لتفنيد البدع التي كثرت في ايّامهِ في انحاء الاسلام وهو مفيد لتعريف احوال الاسلام في القرون الوسطى

ومن المطبوعات الحسنة التي نُشرت في مطبعة المقتطف والمقطّم «تاريخ الحرب العظمى» وقفنا على سبعة اجزاء منهُ يزينها عدّة تصاوير وهي تتضمّن تفاصيل الحرب الى اواخر السنة ١٩١٥ وذلك باعتدال في النظر ومراعاة لحقيقة الاحوال . وكان في الوقت عينهِ صاحب الهلال اميل افندي زيدان مهتمًّا بتعريب تأليف الدكتور جوستاف لوبون « الحرب الاوربيّة » فنشرهُ في مطبعتهِ سنة ١٩١٦ . وهو كثير الفوائد مع انتصار صاحبهِ لوطنهِ وتشنيعهِ على عدّة اعمال اتاها الالمان . وبعد نهاية الحرب نظم الاديب اسعد خليل داغر سلسلة اخبارها شعرًا في نحو اربعين باباً مع اختلاف بحورها وتفنن المؤلف في ابراز معانيها ويبلغ الكتاب ١١٧ صفحة . وقد طُبع في مطبعة الهلال سنة ١٩١٩ كما طُبع ايضاً فيها مختصر تاريخ المانية معرَّباً ومصوَّراً يبتدئ بذكر اقدم القبائل الجرمانية ثمّ يتتبّع احوالها مع توالي الاجيال الى القيصر غليوم الثاني — وفي اثناء الحرب نشر علي العنابي المصري كتاباً دعاهُ « الحياة الاقتصاديّة الالمانيّة اثناء الحرب الحاضرة » يطرئ فيهِ اعمال المانية ويرى لها التفوّق على اقرانها فجاءت نتيجة الحرب مخالفة لظنهِ

ومما لهُ علاقة بالتاريخ الحاضر وطُبع في مصر في مطبعة المقطّم سنة ١٩١٦ كتاب ثورة العرب بيّن فيهِ مؤلفهُ احد اعضاء الجمعيّات العربيّة مقدّمات هذه الثورة واسبابها ونتائجها وضعهُ صاحبهُ تذكارًا « لارواح شهداء الوطن » الذين حضرنا إعدامهم في بيروت والشام . فعسى ان يحقّق اليوم الملك العربي في الحجاز والشام ما بُني عليهِ من الآمال . وفي هذا الكتاب وصف مستوفٍ لتطرّف الاتراك في حكمهم وفظائع عمّالهم الاتحاديين في مدّة الحرب الاخيرة

وطبع سنة ١٩١٥ زعماء النهضة المصريّة » صحيفة من تاريخ انجلترا في مصر » يتجنّون فيها من معاملة الانكليز لوطنهم ويطالبون فيها بحقوقهم

ومن الكتب التاريخيّة المفيدة التي طبعت في القطر المصري سنة ١٩١٤ «الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد» لكمال الدين الادفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م) ورد فيه ذكر ٥٩٣ شخصاً من اهل الصعيد مع ايراد تاريخهم ونُتف من اخبارهم واشعارهم. طُبع في الاسكندريّة.

ومن الادبيات القديمة التي طُبعت في مصر آخرًا في مطبعة المنار ديوان عبدالله ابن الدُمَينة الخثعميّ من شعراء الخلافة الاموية. معظم شعره نسيب وغزل شرحَ بعض الفاظه دون معانيه محمّد الهاشمي البغدادي ولم يضبطه بالشكل ولا ذكر رواياته — وافضل من هذا كتاب «طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين» لابي عبدالله محمّد بن سلّام الجمحي البصريّ المتوفى سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦م) وهو احد التآليف القديمة التي كان يرجع اليها الباحثون عن الشعراء الاقدمين وطبقاتهم وقد سبق ابنُ سلّام في ذلك ابنَ قتيبة. نشر هذ الكتاب حامد محمّد عثمان الحديد الكتبيّ في مطبعة السعادة طبعاً نظيفاً لكنه خالٍ من الشكل والروايات والفهارس. وفي الابيات المرويّة اغلاط عديدة يُقتضى اصلاحها في طبعة ثانية

وهنا لا بدّ ان نذكر كتاباً آخر طُبع في مطبعة السعادة ايضاً وانما هو مسروق عن طبعتنا البيروتية ألا وهو كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرناهُ اوّلاً في المشرق ثمّ طبعناهُ على حدة مع اصلاحات شتّى وروايات مختلفة وفهارس فاستحلاهُ عبد الرؤف افندي الدبّاغ «وطبعه دون مراعاة للحقوق الدولية لكنّهُ اكتفى بالمتن دون الشروح والتذييلات وانّما اختصر فقط» قدّمتنا. فقبحاً لعادة بعض اصحاب المطابع في مصر الذين يختلسون هكذا اشغال غيرهم فيَدّعونها. وقد كتبنا سابقاً فصلاً مطوّلاً في هذه السرقات المصريّة (المشرق ١١ [١٩٠٨]: ٤٣٠) ولعلّنا نعود الى الموضوع ثانيةً جسماً لهذا الداء العياء.

وممّن يستحقّ الثناء امين افندي عبد العزيز ناشر كتاب المكافأة لابي جعفر احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية من ادباء القرن الرابع للهجرة فانّه قدّم عليه المقدّمات الكافية لتعريف النسخة التي اخذ عنها وتدوين اخبار المؤلف مع تمهيده عذرهُ لعدم وجود نسخة ثانية يعارض عليها نسخته. ومدار الكتاب على ضروب المكافأة والمجازاة سواء كان بالحسن او بالقبيح وهو فريدٌ في جنسه.

ينقصهُ في آخرهِ فهرس للاعلام المذكورة فيهِ اتماماً للفائدة

ومن الآداب النصرانيّة القديمة التي نُشرت في مصر في اوّل سنة الحرب كتاب «الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة» يشتمل على خطب تُتلى في الكنائس القبطيّة الارثذوكسيّة في ايّام الآحاد والاعياد في ٢٨٧ صفحة جمعها الشمّاس حبيب جرجس من تآليف قدماء الكتبة المصريين لاسيّما الشيخ الصفيّ ابن العسّال والقسّ شمس الرئاسة المعروف بابن كبر . قد تأنّق فيها مؤلّفوها على طريقة الخطب الاسلاميّة المسجّعة كياسر ابن الحديثي البطريرك النسطوري المطبوعة في الموصل . وكان الاقباط طبعوا قبلها ٥٨ ميمرًا اي مواعظ ليعقوب السروجيّ المعرّبة قديماً عن السريانيّة فنعم الاثران . ويا ليت الاقباط يسعون بنشر مآثر اجدادهم المخزونة في مكاتب ديرتهم

هذا ما وقفنا عليه من ذكر الآداب القديمة امّا الآداب الحديثة فيحقّ لنا ان نقدّم عليها ذكر سفرين جليلين : الاوّل تصحيح لسان العرب . القسم الاوّل بقلم الاديب الفهّام احمد باشا تيمور جمع فيهِ عدّة تصحيحات لمعجم ابن المنظور المعروف بلسان العرب في ٥٩ صفحة من قطع الربع طُبع في المطبعة الجماليّة سنة ١٩١٦ . فنشكر جنابهُ على هذه الخدمة للآداب اللغويّة ونتمنّى صدور قسمهِ الثاني قريباً ان شاء الله . والثاني تصحيح كتاب الاغاني طُبع ايضاً بالمطبعة الجماليّة في ٧٠ صفحة بهمّة العالم اللغويّ محمّد محمود الشنقيطيّ مقابلًا بين طبعة بولاق القديمة وطبعة محمّد الساسي الحديثة . ويا حبّذا لو قدّم المصحح عليه بعض المقدّمات لتعريف أسلوبهِ . وهذان التصحيحان كلاهما قد عُني بطبعهما وتحقيقهما محمّد عبد الجواد افندي الاصمعيّ

ومن الآداب الحديثة المنثورة المطبوعة في مصر «الاثر الذهبي للمرحوم عطيّه بك وهبي» يحتوي تاريخهُ ومباحثهُ وآثاره الادبيّة المتفرّقة لجامعهِ راغب اسكندر المحامي طُبع سنة ١٩١٥ في المطبعة المصريّة الاهليّة في ٣١٢ صفحة . ومنها ايضاً كتابان طُبعا بمطبعة المعارف وقرّرت وزارة المعارف العموميّة تدريسهما طُبع الاوّل سنة ١٩١٦ وهو كتاب حسن لتربية الاوانس عنوانهُ «الفتاة والبين في ١٢ فصلًا» للسيّدة ج . س دوبوك عرّبهُ صديقنا وتلميذ كلّيتنا سابقاً الشيخ انطون افندي الجميل . والثاني كتيب في التربية الاوّليّة والاخلاق في جزئين عرّبهُ حافظ بركهم — وقد طُبع في هذه المطبعة ايضاً كتاب الاجتماعيّات وهي مجموعة مقالات لسيّدة اميركيّة

« اليزابيت تون » تفيد الآداب النسائيّة والمعيشة العائليّة . عرّبتها اوليفيا عبد الشهيد الاقصريّة سنة ١٩١٥

ومما يفيد تاريخ الآداب العربيّة « كتاب تاريخ الاداب العربية من نشأتها الى ايامنا » وهو لاحد اخوة المدارس المسيحية تجد وصفه في اواخر هذا العدد . ومما نُشر ايضاً في ذلك كتاب « حضارة العرب » بقلم اسعد داغر طبعهُ في مطبعة المقتطف سنة ١٩١٩ ضمّنهُ احوال العرب في اطوار تاريخهم وفي علومهم وآدابهم وقدّم كتابهُ « الى صاحب السموّ الملكي الامير فيصل بن الحسين » على انّ منشئ الهلال نسب اليهِ سرقة فصول من مجلّتهِ دون ذكرها . ومن هذا الباب تأليف الاديب عبد الفتاح عباده المسمّى « انتشار الخطّ العربيّ في العالم الشرقي والعالم الغربيّ » طبعهُ في مطبعة هندية سنة ١٩١٥ في ١٦٧ صفحة وهو اوّل كتاب عربي وضع في هذا المعنى . ونشر فقيد الاداب المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في المطبعة السلفيّة سنة ١٩١٩ كتابهُ « التقريب لاصول التعريب » اودعهُ كثيراً من الفوائد في تعريب المفردات الاعجميّة وحشاهُ بالملحوظات اللغويّة الفريدة ينقصهُ شيء من التنظيم والتبويب . وقد سُدّت هذه الثلمة بما اضيف اليهِ من الفهارس

اما المنظومات فقد وقفنا منها على الجزء الثالث من ديوان عبد الحليم حلمي المصري الذي نجز طبعهُ في مطبعة المعارف سنة ١٩١٨ وهو في ١٠٤ صفحات . وصاحبها من شعراء العصر المعدودين عدل عن طرائق الشعراء السابقين الى المنظومات العصريّة المتفننة — وقد مرّ لنا ذكر مجموعي المسيو جرجس شلحت تحت عنوان الشكوى : مناجاة الارواح ومحاورة حكيم (ص ١٥٧)

لم ينشر من الكتب الفلسفيّة في علمنا غير كتب قليلة اهمّها « محاضرات الفلسفة العامّة وتاريخها والفلسفة العربيّة وعلم الاخلاق » القاها في الجامعة المصريّة جناب الكونت دي جلارزا في السنتين ١٩١٨ و ١٩١٩ وبحث فيها عن فلسفة هوبس وديكارت ثمّ انتقل الى درس فلسفة الفارابي وابن مسكويه ثمّ عدل الى درس فلسفة الاسكليزي يوسف بوتلر . وقد اتسع في ذكر تآليف هؤلاء الفلاسفة ثمّ انتقدها انتقاداً حسناً — ومنها كتاب عنوانهُ الفلسفة الادبيّة عرّبهُ بتصرّف حنّا اسعد وهي فطبعهُ بمطبعة المؤيد سنة ١٩١٩ . وقد ورد هناك ذكر واجبات

الانسان مع قطع النظر عن الدين والخالق وكفى بهِ خللاً كما لا يخفى — ومن الآثار الفلسفية القديمة ثلاثة كتب طُبعت في مجموع واحد وهي هياكل النور لشهاب الدين السهروردي ثمَّ تهذيب كتاب الفصوص للفارابي واصول المنطق لمحمد بن شريف الحسيني

ومن المطبوعات التاريخيَّة المهمَّة كتاب تاريخ سينا القديم والحديث لمؤلفهِ نعوم بك شقير وهو كتاب ضخم في ٧٧٦ صفحة جمع فيهِ كلّ ما يُعرف عن جزيرة سينا من حيث التاريخ والجغرافية والآثار القديمة والجيولوجيَّة مع وصف دير طور سينا ورهبانهِ ثمَّ ذكر قبائل الجزيرة واخلاقهم الى غير ذلك من الفوائد الممتعة . وقد اضاف اليهِ خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجاريَّة والحربيَّة عن طريق سينا منذ اوَّل عهد التاريخ الى اليوم . فترى ما شُحن بهِ الكتاب من المعلومات هذا فضلاً عن تصاويرهِ العديدة . على انَّ المؤلف فاتهُ ذكر قدماء السيَّاح الذين زاروا دير القديسة كاترينا ووصفوها وقد نشرنا من رحلهم شيئاً . كما نشرنا في مجموعة مكتبتنا الشرقي جدول اساقفة سينا الذي نشرهُ المؤلف (ص ٥١٧—٥٢٥) امَّا سجلّ العهد المنسوب الى صاحب الشريعة الاسلاميَّة (ص ٤٩٦—٤٩٧) فلا نعدهُ صحيحاً كما بيَّنا ذلك في المشرق سابقاً

ونُشر في السياحات كتاب سياحتي الى الحجاز وهي حوادث واقعيَّة للشيخ غريب بن الشيخ عجيب . في ٤٧٧ صفحة ونظنّ انَّ الاسم يستر حقيقة المسمَّى . ولا يبعد ان يكون واضعه احد اصحاب الرسالة الانكليزيَّة الاميركانيَّة بمصر اتَّسع فيهِ بوصف احوال المسلمين في حجّهم الى مكَّة والى المدينة مستنداً في رواياته الى المصادر القديمة والحديثة ويا ليتهُ ذكر اسنادهُ . طُبع سنة ١٩١٥

ولسنا لنسى تأليفين نشرهما في مصر اثنان من قدماء تلامذتنا الوجهاء : الاوَّل وضعهُ بالافرنسيَّة اوغست اديب باشا وعرَّبهُ الشيخ فريد حبيش فطُبع بمطبعة المعارف سنة ١٩١٩ . والثاني في سبيل لبنان . تأليف الكاتب الاديب يوسف السودا . طُبع في الاسكندريَّة في ذات السنة وقد صار للكتابين شهرة تدلّ على اقبال الناس على مطالعتهما

هذه اخصّ التآليف المصريَّة الحريَّة بالذكر وقد طُبع في القطر المصري كثير من

الروايات الخياليّة وبعض الكتب المدارسيّة من مبادئ قراءة وصرف ونحو كقاموس التمرينات النحويّة الحديثة لمحمد افندي علي (١٩١٨) وغير ذلك مما ليس تحته كبير شأن فضربنا عنهُ صفحاً

ثالثاً مطبوعات اميركا

قلّما يطبع الاميركيّون تآليف عربيّة . وقد ذكرنا لهم في عهدنا الاخير ما نشرهُ احدهم الدكتور ويلم پوپر من تاريخ ابي المحاسن بن تغري بردي (ص ٤٧٣) . اما المهاجرون فمعظم مطبوعاتهم الجرائد ولا حاجة الى ذكرها . وقد ذكرنا ما نشرهُ من المطبوعات المفيدة صاحب ابي الهول الاديب شكري افندي الخوري (ص ٢٣٣) . وكذلك عُنيت الجمعيّة الفلسطينيّة لمقاومة الصهيونيّة في نيويورك بنشر كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » ضمّنتهُ خلاصة تاريخ فلسطين ووصف جميع احوالها الجغرافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتجاريّة الخ سنة ١٩١٩

رابعاً مطبوعات المستشرقين في اوربه

انَّ الحرب الاخيرة شغلت كثيرين من المستشرقين عن مواصلة نشر الكتب المفيدة ولعلّ البعض منها لم يبلغنا حتّى الآن . فدونك ما اطلعنا عليهِ . نشر الدكتور پتروف (D. K. Pétrof) من اساتذة جامعة بطرسبورج القيصريّة سنة ١٩١٤ في مطبعة ليدن في هولندة كتاب ابي محمّد عليّ بن حزم الاندلسيّ المعروف بطوق الحمامة في الالفة والأُلاّف (ص ١٤٥) مع مقدّمات وفهارس مختلفة في نحو ٧٠ صفحة نقله عن احد مخطوطات ليدن . وابن حزم من فلاسفة الاندلس توفي سنة ١٠٦٤م عُرف كابي العلاء المعرّي بقلّة دينهِ . ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب الملل والنحل المطبوع في مصر . اما كتاب طوق الحمامة فانّهُ يبحث عن العشق والعشّاق ولا غرابه لهُ

ومن الكتب الفريدة التي باشر بنشرها المسيو هنري (ماسّه H. Massé) قبل الحرب ولم ينجزها الّا في السنة الماضية كتاب تاريخ مصر لابن المُيَسَّر المتوفى سنة ٦٧٧ه (١٢٧٨م) يحتوي الجزء الثاني منهُ اخبار الدولة الفاطميّة . طُبع في مصر

سنة ١٩١٩ بهمّة الجمعيّة العلميّة الفرنسويّة — وقد طبع في باريس العلّامة كايان هوار الجزء الخامس من كتاب البدء المقدّسي

ومما يستحقّ ذكراً خصوصياً الجزءان الخامس والسادس من منشورات البرنس كايتاني (L. Caetani) متابعاً فيها كتابهُ الجليل المعنون بتواريخ الاسلام (Annali dell'Islam) جمع فيها ما كتبهُ اقدم المؤرخين عن الاسلام في السنين الثلاث للهجرة (٢٣—٢٥ هـ)

ومما نُشر في المجلّات الاوربيّة من الآثار العربية : قصيدة قدم بن قادم من اقدم الآثار اليمنيّة نُشرت في مجلّة الدروس الايطاليّة (R. delle Studi Orientali) نشرها العلّامة اوجانيو غريفيني . كما نشر فيها ايضاً وفي المجلّة الاسيويّة الالمانيّة وصف مخطوطات عربيّة عديدة بيعت حديثاً من مكتبة ميلانو . ونشرت مجلّة اوبسالا (Le Monde Oriental, *Uppsala*) كتاب الموفّقيات لابن عبدالله الزبير بن ابي بكّار — ونشر ريشرد هرتمان في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة كتاب ابن فضل الله العمري في جغرافيّة مصر السياسيّة على عهد المماليك — ومن منشورات المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالة واسعة الاديب الفرد بيل (Alf. Bel) في كتابات قاس الاثريّة . وفيها عدّة مقالات لحضرة الاب هنري لامنس كالتصوير في مبادئ الاسلام ووصف رحلته الى بلاد التصيريّة (١ . وهناك ايضاً مقامات ابن الاولي مع ترجمتها الفرنسويّة للجنرال فوربيغه والاستاذ دلفين (G^al Faure-Biguet et Delphin) . ومقالة للمستشرق الشهير كارا دي ثو في بعض الآثار العلميّة عند العرب . وقد نشر المستشرق الالماني برنشتين (F. L. Bernstein) شرح معمّة امرئ القيس لابن كيسان في مجلّة العلوم الاشوريّة . وللعلّامة الايطالي الفاضل نالينو نظر اجمالي في المطبوعات الشرقيّة في السنة ١٩١٦ . وبه نختم هذه المقالة مستميحين عذراً ممن يكون سها بالنا عن ذكر مطبوعاتهم

---

١) ولهُ في مجلّة الدروس الشرقيّة الايطاليّة مقالة مدقّقة في آخر ملوك بني امية مروان الثاني المعروف بالحمار . وفي مجلّة العالم الاسلامي (Rev. du Monde Musulman 1920,p. 58-84) مقالة عن رحلة الخديوي عبّاس حلمي حاجّاً الى الحرمين سنة ١٩٠٩ منتقداً على ما نشره محمد لبيب البتنوني سنة ١٩١٦

الحشرات المتطفّلة

لحضرة الاب اسكندر طوران البسوعي

انّ للمتطفّلين بين العرب قصصاً غريبة وحكايات مضحكة اتّسع في ذكرها كتبتهم وروروا منها ما يُنيلهم في ذلك قصبة السبق بين بقيّة الشعوب . على انّ هذا الداء لم يفشُ بينهم فقط ولو تتبّعنا عادات بعض الناس في ايّامنا لوجدنا منهم بقايا حسنة ممّن يترصّدون الدعوات والمآدب ليتسرّبوا اليها فيأخذوا حصّتهم من ألطافها دون ان يدعوهم اليها احد

على انّ التطفّل لا ينحصر في الناس فقط فانّهُ شائع في كلّ مواليد الطبيعة . فاعتبر مثلاً النبات فانهُ لا يكاد يوجد شجرة الّا ويتسلّط عليها كثير من النباتات المتطفلة فتلتصق بها وتعيش منها مع ما يلحق الشجرة من الأذى . فمن ذلك ما يعرفهُ البستاني من امر الجيفل (الجعيفر) (orobanche) الذي يتخلل في صول البطاطا والبندورا ونباتات اخرى فيمتصّها ويضعفها . وفي الغابات لا يجهل ذات الدبق (gui العشق) المتسلّط على السنديان فانّ كلّ هذه النباتات تعيش من فضل غيرها كما يعيش الضيف من طعام صاحبه

وان اعتبرنا الحشرات وجدنا منها اجناساً عديدة تعيش من فضل سواها من الحشرات او من حيوانات اكبر منها . ولا يخلو الانسان من اقتحام هذه الهوامّ المتطفلة التي تساوره وتعيش في جسمه خارجاً او باطناً . وكذلك البهائم والطيور فانّ لكلّ منها حشرات ترتع في ابدانها كالقمل والبراغيث والقردان فمنها ما يمتصّ اجسامها ومنها ما يُنفذ في لحومها مخالبهُ ليتغذى من جوهرها . وقد تبلغ قحة البعض منها الى ان تدخل في باطن الجسم فتستوطن احشاء الحيوان او دماغهُ او طحالهُ او تنفذ تحت الجلد فتتخذ لها منزلاً طيباً تسكنهُ وتتناسل فيه . فمن ذلك برغوث يكثر في البرازيل ويدعى بالشيك (Puce-Chique) وقد انتقل منذ عهد قريب الى اواسط افريقية نقلتهُ اليها مراكب مثقّلة بالرمل وهذا البرغوث يعيش في الرمل . لأنشاهُ عادة

بئس العادة اذ تنفذ تحت اظافير الشاة لتبيض هناك بيضها . والانسان لا يحسّ بها عند ولوجها تحت ظفر رجله لكنّها لا تلبث ان تضع نسلها فينمو صغارُها ويغترزون في الجلد فيشعر الانسان بألم لا يطاق ولولا إسراعهُ الى نزعها لتقرّحت رجلهُ

وكم من الحشرات المجنّحة وغير المجنّحة تعيث فسادًا في جسم الانسان وبدن الحيوان وكأنها متطفّلة مستقلة !

ولكن ليست غايتنا في هذه المقالة ان نبحث عن هذه الهوامّ وانّما قصدنا الآن ان نبسط البحث عن الحشرات المتطفّلة على حشرات أُخرى لاسيّما تلك التي لا تعشش ولا تخزن قوتاً لنسلها لكنّها خُصّت بغريزة عجيبة وهي وَضْعُها لبيضها على احدى الحشرات الطيّبة لتتسلّط عليها صغارُها عند تفقّسها لبيضتها . او تودع ذلك البيض في الخلايا التي خزنت فيها بعض الحشرات طعامها من عسل او صيد فتعيش من فضلها . ولا بدع انّ في هذه الامور مظهراً من نظام الخالق عزّ وجلّ الذي قسم لكل حيوانات الكون رزقها وجعل بعضها طعماً للبعض لئلّا يزيد عدد البعض منها الى حدود مفرطة

= * =

سبق لنا وصف العشّ الذي تبنيه حشرة البياوياي (Pélopée) حيث تتّخذهُ من الطين وتجعلهُ خلايا لكلّ بيضة من بيضها تخزن فيها ما تصطادهُ من العناكب ليكون طعاماً لصغارها عند تفقّسهم لبيضتهم فيتحوّلون الى دودة ثمّ يزدادون نموًّا فيبلغون بعد خمسة عشر يوماً نموّهم التامّ ويبقون في هذه الحالة عدّة اشهر من آب الى حزيران دون ان يخرجوا من عشهم المطيّن

فان عمدتَ الى احد هذه الاعشاش في زمن الخريف وحفظتهُ تحت مشبّك حديدي لاستطعتَ في شهر تشرين ان تشاهد الحشرات المحبوسة فيهِ اذ تثقب سقف عشها المجصّص فتخرج منهُ وقد هيّأها الله جناحاً فتطير الى المشبك وتتشبّث بهِ من داخلهِ

الّا انك تعاين ايضاً ما خلا هوامّ البياوياي حشراتٍ اخرى تخالفها صورةً ولوناً . فان الاولى مبرقشة بالاسود والاصفر ذات بطن اسود

امّا الثانية فمع قوائمها الهيفاء يتغلّب على لونها الحمرة وبطنها اصفر مستطيل متقوّس ينتهي بابرة طولها ازيد من السنتيمتر . فالحشرتان مختلفتان ليستا من نَسْل

واحد ما لم يُقل انَّ احداهما تحوَّلت الى صورة الثانية وبهِ يصحّ المذهب الدروينيّ في تحوُّل الاجناس وهيهات ان يصحّ وهو مبنيّ على شفير هارٍ

فكيف اذن وقوفنا على حقيقة الامر ؟ . هلمَّ بنا نعيد النظر في عمل الحشرة الامّ حينما تصطنع عشّها في شهر آب فها هي قد شيَّدت خلايا صغارها ووضعت في كلّ خليَّة بيضةً وعبَّتها بالمؤونة وهي ما اصطادتهُ من العناكب المخدَّرة ثمَّ سيَّجتها وطيَّنتها فصارت كمدَرة من الطين في ظاهرها . فاجعل هذه المدَرة على منضدتك وراقب ما يقرب اليها من الهوامّ تَرَ بعد حين هامَّةً صفراء طويلة الساقين ينتمي بطنها الاصفر بثقب من الجنس الذي وصفناهُ آنفاً . فهذه الهامَّة ترفرف امامك دون ان تُلحق بك اذًى اذ لا حُمَة لها جارحة وان اشبهت في صورتها الزنبور . وانَّما تحوم حول مدَرة البيلوپاي اذ شعرت بكنهها ولم تنخدع بظواهرها فعرفت انَّ في باطنها دودًا سميناً يحسنُ ان يغذي صغارها . ولكن كيف الولوج الى داخلها وهي محصَّنة في خلاياها وفوق الخلايا صوانٌ من الملاط يردّ عنها غارات العدوّ . لكنَّ زائرتنا لم تيأس منها فانظر رعاك الله كيف تدوّم حول المدرة كأنَّها تحاول البلوغ الى دودها . ثمَّ تراها تحطّ فوق العشّ وتفحصهُ في كلّ جوانبهِ وتعقّب اليه قرنيها مضطربةً ثمَّ تمدّ ابرة بطنها اليهِ وتلويها عموديًّا بالنسبة الى قطب جسمها فتحضنهُ بتسع نقط بقوائمها الست ثمَّ بقرنيها وبثقب بطنها . فقرناها يُطلعانها على حالة الدود كما يظهر وبهما تقف على ما يفوت ادراك حواسّنا البشريَّة . امَّا الثقب فيجسّ المدَرة لعلَّها تجد فيها صَدْعاً او فُرْجةً ما او غلافاً ارقّ حيث تنرز فيهِ تلك الابرة الشائكة فاذا وجدتْ مطلوبها وهي تجدهُ لا محالة فمن ساعتها تجدُّ في ثقبه فترى جسمها في اضطراب الى ان تدرك غايتها فيبلغ الثقب الى جسم الدودة فيرزُّ فيها ملقياً عليها بيضةً من بيضهِ ثمَّ تنزعهُ الهامَّة وتعيد العمل فوق كلّ خليَّة حيث توجد احدى الدودات فتلصق بها بيضةً ثمَّ تهيم في وجهها

فيا ترى ماذا يجري بعد ذلك ؟ فها قد انكشف السرّ فانَّ هذا البيض ينقف في وقتهِ ويتسلَّط المولود على جسم الدودة السمينة فيغتذي منها ويمتصُّ لحمها حتَّى اذا اقبل الصيف وانغلقت المدرة بفعل الدود يخرج من العشّ صاحب البيت (ان لم يتلف) وضيفتهُ ذواللون الاصفر والبطن المجهَّز بالثقب الطويل . وهذا المتطفّل هو

المسمَّى في لغة العلم بالاختومون (Ichneumon)

وليس هذا الطفيليّ وحدهُ بين الحشرات فانَّ كثيراً منها لا يعهد الصيد ولا يجني العسل او يخزن الذخائر ليعدّ طعاماً لنسله عند مولدهم

فبينما ترى عدداً عديداً من الهوامّ كالفصيلة النحليَّة (les Apiens) تبني النخاريب من الشمع او من الطين او من الموادّ العشبيّة لتودع فيها عسلها وترى فصائل غيرها تودع اعشاشها طعاماً من الصيد الذي تقتنصهُ من جراد وعناكب ودود وغير ذلك . وبعض الفصائل تجمع نفايات الطبيعة وما تناثر من اللحوم والجلود والاصواف وما فسد من السرقين الخ حرصاً على صغارها عند ولادتها . ترى على خلاف ذلك اجناساً من الهوامّ التي تعيش من النهب والسلب على نفقة غيرها فتودع صغارها حيثما تجد مطعماً لها ممَّا غُني غيرها بجمعهِ وكدّ في تهيئته

وليست حشرة الاختومون صنفاً واحداً بل هي انواع متنوّعة تشتمل على اشكال عديدة وكلُّها معروفة بالتطفُّل والسرقة . اما اسمها فهو مستعار من اسم حيوان يسمَّى عند العرب بالنمس كان قدماء المصريين يعبدونهُ وهو من ذوات الاربع يصطاد الثيران والحرابيّ ويبحث عن بيض التماسيح فيلتهمها وكان البعض يزعمون انَّهُ يدخل في بطن التمساح ويفترس احشاءهُ فيقتلهُ . فأطلق العلماء اسمهُ على الحشرات التي نحن بصددها لأنَّها تشبه النمس بوضع بيضها على الحشرات لتغتذي بلحومها عند نقفها لبيضها

والظاهر من حكمة الخالق انهُ كوَّنها لتقلّل عدد غيرها من الحشرات لئلَّا يحصل اذًى بفرط زيادتها . ومن حيث انَّ هوامّ النمس لا تعيش الَّا من موادّ حيويَّة فالامّ تهاجم سواها من الحشرات لاسيَّما الدود فتجعل عليها فوق جلدها او تحته بيض صغارها التي تجد عند خروجها من بيضها سفرةً ممدودةً وطعاماً حاضراً فتأكل اوَّلاً نسيج ضيفها الشحمي ثمَّ تعمد الى بقيَّة اعضائها الثانويَّة دون الرئيسيَّة لئلَّا تموت فيفسد بموتها طعامُها . ولا تسطو فقط على الدود بل ربَّما طاردت الحشرات التامَّة البنية . وليست كلُّها جاريةً على طريقة واحدة في غاراتها . فلكلّ صنف منها فريستُهُ التي يهاجمها فبعضها يطارد الهوامّ المجنَّحة الطائرة وبعضها ينازل الدود في اعشاشها او بين الاعشاب وكلُّها تعلم كما يقول العرب من اين تؤكل الكتف

اي كيف تبلغ الى فريستها وتزق من لحمها . فسبحان الخالق الذي جعل قرب كثير من الحشرات اصنافاً تحصر عددها الوافر في نطاق معلوم

وهذه الحشرات النسيّة ممتدّة في كلّ انحاء المعمور تبلغ انواعها بضع المئات وهي تختلف في الوانها وحجمها فمنها ما لا يزيد طولهُ الملّمترين ونصف الملّمتر ويبلغ طول غيرها ٣٠ ميلمترًا اما خلا مثقب بطنها المثلّث الخيوط البالغ طولهُ ٤٥ ملّمترًا . وهذا الصنف بهيُّ المنظر ولا تخلو منهُ انحاء بلاد الشام . ومن طول هذا المثقب العجيب يُستدلُّ على عمق المكان الذي تغرز فيهِ الحشرة بيضتها . فالتي خُضت بمثقب طويل تُدخل بيضها تحت قشر الشجر وفي باطن الخشب وفي باطن التربة لا يقوى شيء على تلك الابرة النحيفة وربمَّا ثقبت اصلب الموادّ الى عمق ثلاثة او اربعة سنتيمترات في نقطة حيث لا يستطيع احدُ الناس بصرًا من اكتشاف ادنى صَدع

والغريب في ذلك انَّ حشرة النسر تشعر انَّ وراء تلك الحواجز دودةً تصلح لطعام صغارها . واغرب منهُ ان هذه الحشرة اذا سبقتها احدى هوامّ من جنسها فعلّقت بيضتها على فريسةٍ ما لا تعود هي فتتعرّض لها . وان سألتَ كيف يمكنها ان تعرف ذلك والفريسة غالباً في عمق الارض او في عشّ مرصوص او تحت قشر الشجر ثمَّ البيضة المودوعة غاية في النعومة لا تراها العين او هي مُنفذة تحت جلد الفريسة . اجبنا انَّ كلّ ذلك من الاسرار التي لا يعلمُها الّا الخالق الذي طبع في هذه الحشرات غريزتها العجيبة التي تحيّر عقولنا

ومن خصائص هذه الحشرات تلك الأشرة التي دعوناها بالمثقب والتي جاد عليها الخالق لتغرز بيضها في فرائسها . فانَّها تختلف طولاً على حسب انواعها فتكون قصيرةً لا تكاد ترى في الجنس الذي يَسْرأ بيضهُ على حشرة ذات جلد املس وطويلةً في الجنس الذي يهاجم الحشرات الشعراء التي تعيش في الخشب

وقد وصف العلّامة المسيو فابر صيد حشرات النسر لفريستها وصفاً ممتعاً ننقلهُ هنا عنهُ . قال : « ألا انظر الى هذه الدودات التي ترعى الخشب بكلّ طمأنينة واذا بحشرة النسر تأتي محوّمةً في الهواء باحثةً عن اسمن الدود لتصطادها . فتحسُّ الدود بقدوم عدوّها عند سمعها لرفرفة جناحهِ فمن ساعتها تكفُّ عن الرعي وتنطح برأسها ذات اليمين وذات الشمال كأنَّها تريد ان تخيف القاحم عليها لكنَّ ذلك لا

يسلك على النمس ولا تعيره بالًا بل تحطّ بسرعة البرق على الدودة التي اختارتها وبلمح البصر ترمحها بابرتها وتُنفذ في الجُرح بيضةً من بيضها . فمنذ تحاول الدودة ان تنجو من عدوّها المجنّح الذي لا يخشى خصمًا واذا انتهت من عملها مع احدى الدودات كرّرت العمل مع غيرها الى ان ينفد بيضُها كلّهُ فتطير ناعمة البال

اما الدودة المبتلاة بهذا الضيف الثقيل فانّها تعود الى رعيها ثمّ تزيد نموًا بل يصطنع الجنس الذي يشرنق منها فيلجتهُ لكنّ هذه الفيلجة تنسجها في الغالب لعدوّها فانّ بيضة النمس اذا نقفت لا تزال تمتصّ لحم الدودة الى ان تفنيها وتسكن هي الفيلجة المساوية ثمّ تثقبها وتخرج منها فيتعجّب الناظر كيف تغيّر النسل واختلف صاحب الدار فصار المتطفّل مالكها بدلًا من ديّارها الاصليّ

وان اعتبرتَ في ايّام الربيع مرجًا من الاعشاب وعاينتَ ما يرعاهُ بينها من الدود يأخذك العجب من عددها العديد ثمّ تفكّر فيما سيحصل منها في السنة القادمة حين يولد نسلها النامي فلن تترك شيئًا من الخضرة . ولكنّك ان عدتَ الى المكان في السنة المقبلة وجدت ذلك الدود على ما كان دون ان ينمو عددهُ نموًا معتبرًا وان بحثت عن سرّ ذلك لاكتشفتهُ في محاربة حشرات النمس لضروب الدود فانّ بين مئة دودة لا يكاد ينجو من فتكات النمس الّا اربع او خمس منها والباقي كلّه يذهب فريسة عدوّهِ . وقد اثبتت الامتحانات المتكرّرة انّ صنفًا من حشرات النمس المدعوّ بالخرج البطن (Micrigaster) يفترس هو وحدهُ تسعة اعشار دود الفراش الابيض الذي يعيث في البقول ويفسدها والنمس الذكور لا يزيد طولهُ على سنتيمترين ونصف . فكم يحقّ شكر البستانيّ لفضلهِ . واعلم انّ بيض النمس غاية في القوّة حتّى انّ البعض منهُ لا يفسد بموت الامّ اذا ماتت وهو في بطنها بل ينقف واذ لم يجد ما كلًا اغتذى من جثّة الوالدة او يأكل بعضُهُ البعض

ومن جوارح الحشرات ما عدا الفصيلة النمسيّة فصائل غيرها ذوات اربعة اجنحة او جناحين تنتهك حمى غيرها فتودع بيضها فيها لتفتات بلحوم دودها او تغتذي بما امتارتهُ صاحبة العشّ من الطعام لذويها . وربّما حدث انّ البيضة الغريبة بعد نقفها تأكل ما تجدهُ في العشّ من دود او طعام ثمّ تصبح هي ايضًا فريسة لجنس آخر من الحشرات فينال اللصّ جزاءهُ بضربة لصّ افتكّ منهُ . ولكلّ هذه الهوامّ طرائق عجيبة في التلصّص

فمنها حشرة المتيل (Mutile) التي لا جناح لأُنثاها وتشبه النملة لكنها حمراء الوسط فهي تتسرَّب الى دهاليز الحشرات حيثما تشعر بوجود الدود فتجعل بيضها عليها ثمَّ تخرج سالمةً

ومنها حشرة الخريزيس (Chrysis) الجميلة المنظر ذات الالوان المعدنيَّة الناصعة كالذهب والزُّمرُّد واللازورد والارجوان وهي على حجم الذباب الصغير لكنها ذات اربعة اجنحة . فهذه تترصَّد حشرة البَمبكس (Bembex) حين تحفر لها سرباً لتموِّنهُ بالطعام لصغارها فهي تطير الى طعامها كطرفة العين وتجعل عليهِ بيضة او اكثر ثمَّ تنطلق

ومنها الميلكت (Mélecte) التي تدخل في مخاريب بعض النحل البرّي فتسرئ بيضتها على بيضة النحلة فاذا نقفت جعلت بيضةُ النحلة اوَّلَ فريستها ثمَّ تعمد الى العسل وتستوطن الخليَّة وتخرج فراشةً وقت الربيع بدلًا من النحلة البريَّة

ومنها حشرة ستِلِّيس (Stellis) التي تثقب لها ثقباً في خلايا صلبة كالحجر لبعض اصناف النحل وتلج من ذلك الثقب الى وسط الخليَّة وتجعل بيضتها على العسل ثمَّ تخرج وتسدُّ الثقب بملاط

ومنها ما يُسرئ بيضهُ حيثما كان فاذا نقفت البيضة قُضي على الصغار ان يطلبوا طعامهم بنشاطهم فيرشدهم وَهْمُهم الى ان يرقوا الى بعض النباتات الزهرة وينتظروا نحلةً ما بريَّة تأتي لجني الزهور فاذا حطت عليها تشبَّثت اثنتان او ثلاث او اربع من تلك الحشرات بزنبر النحلة فتدخل معها في خليَّتها وتأكل عسل صغارها متطفلة

فبهذه الطرائق العجيبة وبائتلاف الحشرات بعضها لبعض تبقى الموازنة في الطبيعة بين مخلوقاتها المختلفة

على انَّ في نظر هذه الحشرات التي ندعوها بالمتطفلة ما هو اجدر بالاعتبار وذلك خدمتها المشكورة للانسان . يعرف ارباب الفلاحة انَّ لغلَّاتهم كالقمح ولاشجارهم المثمرة كالليمون والكرمة اعداء الدَّاء من حشرات مفسدة تتسلَّط عليها فتتلفها . فانَّ الخالق اعدَّ لكل هذه الحشرات هوامَّ من جنس المتطفلين تناجزها القتال وتخفف وطأتها عن عاتق الانسان وان لم نكتشف حتَّى الآن لكل الحشرات المؤذية الهامَّة المناهضة لاصنافها

فمما نقلتهُ لنا الجرائد الفرنسويَّة الرسميَّة في السنتين ١٩١٢ و١٩١٣ انهُ ظهرت في ايطالية حشرة تشبه الفيلوكسيرة يدعونها (Diapsis pentegona) من جنس دودة القرمز فأخذت تتسلط على شجر التوت حتى أتلفتها وقد انتقلت من اليابان الى ايطالية مع بعض فسائل التوت الياباني . فخاف الفرنسويون على توت بلادهم واستدراكاً للشرّ وضعوا بعض القوانين على الاغراس المنقولة من ايطالية الى فرنسة . وفيما هم يتباحثون في الامر واذا بنبإٍ آخر اثبت وجود حشرة مناقضة لتلك الحشرات تشبه زنبوراً صغيراً فوجدوهُ ايضاً في اليابان فأنثى هذه الطائفة تدسُّ بيضها في دود عدوها او في جسم انثاها فلا تُبقي ولا تذر . وهذه الحشرات الصالحة تنتج كلُّ انثى منها نحو مئة بيضة فبوقت قريب تنمو عدداً وتلتهم الحشرات المضرَّة بالتوت فلا يبقى منها سوى جلدها اليابس

ومن آفات الليمون حشرة يدعونها ايسريا پرخاري (Icerya Purchari) افسدت كثيراً من شجر النارنج في اوستراليا واميركا واوربَّة وكان ظهورها في فرنسة سنة ١٩١٠ الَّا انَّهم عرفوا دواءها بتنمية حشرة أخرى تدعى نوفيوس كرديناليس (Novius Cardinalis) التي تقتل تلك الحشرة قتلاً ذريعاً فتلاشيها بزمن قليل (١

وقد رأينا آفة مثلها في بيروت قبل بضعة اعوام في شجر الليمون فما أُرسل الى الشام بعض الحشرات المطاردة لها حتَّى نظَّفت بزمن قليل كلَّ شجر الساحل من تلك الهوامّ الضارَّة

ومن الحشرات المؤذية للقمح هاتة تدعى ساسيدومي (Cécydomie) تشبه البعوضة الَّا انها تُسرى بيضها في زهرة الحنطة لا في الماء كالبعوضة . فالبيضة تتفقَّس فتُرى كدودة صغيرة حمراء تنمو متمدِّدةً في غلاف الحبوب فتقرضها بحيث تصبح السنبلة فارغةً وقت الحصاد واذا كبرت الحشرة ترمي بنفسها الى الحضيض متعلقةً بخيطٍ تجُرُّهُ كالعنكبوت ثمَّ تغرز في الارض . وقد بلغ سنة ١٨٤٦ ما اتلفتهُ هذه الدودة من القمح في بلجكة مليونين من الهكتولتر . غير انَّ الله وضع

---

١) راجع مجلَّة كسموس (Cosmos) في عددها ٢٦ حزيران و٢٣ ت ١ ١٩١٣

دواء لهذا الداء. وذلك حشرة غاية في النعومة من الفصيلة النسيّة يدعونها بسلّة بُوسك (Psylle de Bosc) وهي مجهّزة بقرن صغير في أعلى بطنها فتحوم فوق السنابل وحيثما تجد الحشرة المفسدة ترزّ في جسمها بيضة من بيضها فهي تثقف بعد قليل وترعى جسم الدودة المؤذية فتقتلها

وفي اميركا صنف آخر من الساسيدومي يتولّد في سوق السنابل فيجفّفها وقد اتلف هناك ما لا يُحصى من الفلّات . وانّما العناية الالهيّة نبّهت منذ بلاد اوربة بواسطة نمس صغير يقوم في وجه هذا العدوّ فيفتك به

غير انّ في اوربّة آفةً أخرى لفساد الفلات ألا وهي حشرة ذات جناحين تشبه الذبابة العاديّة تدعى اوسين (Oscine) تعيث في كلّ اصناف الفلال كالقمح والشعير والجاودار والشوفان. لكنّها هي ايضاً لها عدوّها وهو نوع من النمس نحيف الجسم يطارد ذاك العابث في سوق السنابل ويُنفذ في بطونها بيضهُ الذي يهلكه عند تفقّسه

فانظر رعاك الله عناية الخالق الذي يجعل قرب كلّ داء دواءهُ وما حوّل لهذه الحشرات النسيّة من الحواصّ ليرينا قدرتهُ في مخلوقاته الصغيرة كما في الكبيرة فلنوجّه في كلّ شيء نظرنا الى ذاك الذي يظهر لنا آيات حكمته في كلّ شيء تبارك اسمهُ وسبحانهُ تعالى الى ابد الدهور

كتاب الكتّاب لذوي الدرس والتهذيب

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

وهذا باب الحذف وفصوله

١ شروط الحَذْف واُصولهُ وعِلَلهُ

اعلم انّ اكثر ما يُحذَف في الكتاب الحروفُ المكرّرة كراهيةَ اجتماع الاشباه في الخطّ كما يدغمون المضعّف في اللفظ استثقالاً للتضعيف او حروف المدّ واللين

لاعتلالها وثقلها وتعاور السكون والحركات والتنوين اياها مع (28') كثرتها في الكلام وانهُ لا يخلو من احدها او من الحركات كلمة وانما الحركات منها فيُستخفّ بحذفها من الكتاب كما يُفعل ذلك في اللفظ . واكثرُ حروف اللين حذفاً الالفُ لضعفها وانها اكثر في الكلام من غيرها

٢ حذف المُدغَم من الخطّ اتّباعاً للّفظ

فمما يُحذف لاجتماع الاشباه كلُّ حرفين أُدغما من كلمة واحدة فانهما يُكتبان حرفاً واحداً صحيحاً كان او معتلًّا لانهم كرهوا في الكتاب ما كرهوا في الكلام من التضعيف وذلك مثل دال مُدَّ وميم مُحَمَّد الثانية وتاء اتَّزَنَ ودال ادَّكَرَ ومثل واو عَدُوّ وسُوَر وياء بُخَتِيّ ومَرْمِيّ . فان وقع الادغام في حرفين من كلمتين لم يجب الحذف لانَّ ذلك لا يلزمها في كلّ موضع اذ كانا قد يفترقان فكأنهُ لم تجتمع الاشباه وذلك مثل لام التعريف اذا أُدغمت مع غير اللام كقولك السَّلام والرَّحمٰن والسِّراط فهذه اللام تثبت في الكتاب لانها تفارق ما دخلت عليهِ ولأنَّها جاءت لمعنًى لا يُعلَم الَّا بها . وكذلك هي اذا أُدغمت في لام كقولك « اللهُ واللَّيلُ (28') واللَّهْوُ » وتثبت في غير الادغام في مثل « أَلْأَل والخَيْر » الَّا أن يَعرض عارض يوجب مخالفة القياس كحذفهم من « الَّذي والَّتي » ومن « الَّذين » اذا كان جمعاً احدى اللامين للفصل بين ذلك وبين التثنية في « اللَّذَيْن واللَّتَيْن » فالمحذوفة من الكتاب هي اوّل الاسم لا حرفُ التعريف وكان اثباتُ اللامين فيما هو لاثنين أولى عندهم فاذا صغّروا « الَّذي والَّتي » ردُّوهما الى الاصل فكتبوهما بلامَيْن « اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا » لأنَّ ذلك لا يُشبه التثنية . ولا تُحذف اللام من « اللَّاءي واللَّاتي لانهما لا يلتبسان بالتثنية وانما حُذفت اللام من الَّذي والَّتي لانهُ اسم مُبهَم طويل كثير الاستعمال يلزمهُ حرف التعريف ولا يفارقهُ فكثر في اوّلهِ الاشباه وللفصل بين التثنية وغيرها . وكذلك كلُّ فعل أُدغمت لامهُ في علامة الضمير مثل « اَخَذْتُ واَجَدْتُ وبَسَطْتُ وخَبَطْتُ » ومثل قولهِ (١ : « يُدرِككُمُ المَوْتُ » لا يُكتب ذلك الَّا على البيان ولا يُحذف لأنَّ هذا الضمير يفارق الفعل فيكون مرَّةً واوًا

١) سورة النساء ٨٠

ومرّةً نوناً مثل « فَعَلُوا وفَعَلْنَ » ولا يلزم. فحكمهُ حكمُ المنفصل الّا ان يقع شيء من هذا في باب نَحْوٍ او حكاية لغةٍ فتثبت على اللفظ والادغام ليتبيَّن المقصود كاستشهادهم في الادغام بقول علقمة (٢٩) :

وفي كلّ حيّ قد خَبَطْتَ بنعمةٍ فَحُقَّ لشاسٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ

فلو كتب هذا « خَبَطْتَ » بالتاء لَمَا عُلم معنى الاستشهاد به . وكذلك ما كان في كلمتَيْن مثل « هلْ تَدْري » اذا كتبتَهُ في نحوٍ او تفسير لغة كتبتَهُ على اللفظ بالادغام كقول الشمّاخ :

وقالَتْ بِيَسْؤُدٍ كأنَّ عيونَها الى الشمس هَتْدُرٌ وكيفَ تَواكَبُ

يريد « هل تَدْرُونَ » . وكذلك قولهم « كنتُ مَخْهُم » يريدون « مَعَهم » لأن مثل هذا لا يُعلم الّا بحكاية اللفظ بالخطّ . فامّا ما أُجري في الخطّ من المدغم في كلمتين مجرى المدغم في كلمة واحدة كهلّا والّا وعمّا وعمَّنْ ومِمَّا ومِمَّنْ ولِمَّا وامّا فقد مضى تفسيرهُ في ما تقدم. فهذا قياس كتاب جميع الادغام

٣ حذفُ غير المُدغَم لاجتماع الأشباه او الشبهَيْن في كلمة

فامّا ما يُحذَف لاجتماع الاشباه غير المُدغَمة فانَّ كلّ ألِفَيْن او واوَيْن او يآءَيْن اجتمعَتا في كلمة واحدة حُذف احدهما واُثبت الآخر الّا أنْ (٢٩) يُخافَ لبسٌ او يُحتاجَ الى عِوَضٍ او يُستخفَّ شيء فلا يُحذَف . وكلّ ثلثِ ألِفاتٍ او واواتٍ او يآءاتٍ اجتمعنَ في كلمةٍ حُذفت احداهنَّ واُثبتت اثنتان على ما نحن مبيّنوهُ ان شاء الله

٤ حذفُ غيرِ المُدغَم لاجتماع الشبهَيْن خاصّةً في كلمة

فمن ذلك احدى الالفَيْن في مثل « آدَمَ وآخَرَ وآمِرٍ وآنِبٍ » وفي مثل البَرَآءة والقِرَآءة والنُجَآءة » وفي مثل « آلافٍ وآجامٍ وآبارٍ » ومثل « الإسار » مصدر أسَرْتُ (١) . وقوله (٢) : يَسْأَلون عن أنبآئكم » وهما يقرءآنِ . الّا انهم يكتبون مثل « قَرَأَ » او « مَلَأَ » كليهما بألِفَيْن لئلّا يلتبس بفَعَلَ وحذفوا احدى الواوَيْن في مثل « داوُدٍ وطاوُسٍ

١) كذا في الاصل والصواب : « الإئسار مصدر أسَرْتُ »

٢) سورة الاحزاب ع ٣٠

ومَوْئنة وشؤن ورؤس ومسئول وسآءوا وجآءوا جميعاً وهم يجيئون ويسيئون ويقرَؤن ويَشنَؤن ويَجشَؤن وهم مجتَؤن ولم يستَؤا» حذفوا كلّ ذلك لاجتماع الواوَين وانضمام احداهما واثبتوا في مثل «رَوَوْا ولستَوْا وهم الأقوَوْن ومجتوَوْن» للمفعولين لانفتاح الاولى ولأنهم قد يتوهمون من اثقل والخفّة في الخط ما يتوهمونه في اللفظ . ومع ذلك انّ لام الفعل في هذه الاشياء (ج٥٢) محذوفة فلمّا رأوا خفّة الفتح لم يخلّوا بالكلمة بحذف شيء آخر

واما اثباتهم الواوَين في قولهم «ذَوُو مالٍ» فللفصل بين التثنية والجمع واحدى اليآءَين في مثل «الجَآني واللآني والمُقرنين والمستهزِئين» الجمع يُحذَف لما قلنا . ولا يحذف من التثنية في مثل «المُقرَنَيْنِ والمستهزَئَيْنِ» لئلّا يلتبس بالجمع ولا من مثل «المُصطَفَيْنِ والاقوَيْنِ والاعلَيْنِ» لما قلنا ولا نفتاح الأولى ولا يُحذَف من «المِئين» لانهُ اسم منقوص فعلامة الجمع فيهِ كالعِوَض من نقصانهِ . فلو حُذفت الهمزة لَبقي على حرفٍ واحدٍ . ولا يُحذَف في مثل «رَئيس وبَئيس» فيلتبس بباب فَيعِل من المثل عينهُ كسيّد ومَيّت . وكذلك كلّ مصدر ممّا اعتلّت عينُهُ بالياء وكانت على التفعيل «كالتَّسيِيد والتَّمْيِيت» ولا يُحذَف لئلّا يلتبس بمصدرهِ الذي على التفعُّل «كالتغيُّر والتميُّز» . وكذلك يُفعَل ممّا فآؤهُ همزةٌ وعينُهُ ياءٌ او واو مثل «يَئِيضُ أيضاً ويَؤُولُ أوْلاً» . ولا يُحذَف لئلّا يلتبس بيَفعِلُ ويَفعُلُ من مثل الأَلِ والأَضِ . فهذا قياس كلّ ما يجتمع فيهِ مثلان فيُحذَف منهُ او لا يُحذَف

٥ حَذْف غير المدغَم لاجتماع ثلاثة اشباه في كلمةٍ *

واما اذا اجتمعت ثلثة اشباهٍ ويُحذَف منها واحدٌ فمثلُ الألفات في (ج٥٢) «البَرّآت والبرّآت والفُجّآت» وقد جآءَ كِلاهما وَشآءَ ولن يَشآءَ» ومثل المدود كلهِ اذا نُصِب ونُوِّن كقولك «شربتُ مآءً ولبستُ ردآءً وأعطيتهُ إعطآءً» ومثل الهمزتَيْن يُفصَل بينهما بألف كقولك : «آأنتِ أمْ أمُّ سالمٍ» ومثل

* اعلم انّ في هذه الفصول عدّة اصطلاحات لا يجري عليها النُحاة الّا نادرًا ومنها ما لم يمكنّا تصويرهُ لعدم وجود الحركات الطبية لذلك لا سيّما المدّة على غير الالف والمدّة مع الهمزة المتحرّكة فوق الحروف الوسطى غير الالف (المشرق)

الواوات في « المَوْؤدة ويَسُوؤن وُجوهَهم ويَنُوؤن بالأعباء » ومثل اليآءات في « النَّبيّينَ والمِلِّيّينَ وتَجيئينَ وتَفيئينَ »

٦ حذف ما شُبِّه باجتماع الاشباه وبحروف اللّين في كلمة

وقد يُشبَّه بالأشباه ما قاربها وبحروف اللين ما ليس منها في بعض المواضع فيُجرى مجراها في الحذف. فمن ذلك الالف واللام اذا وقعت قبلهما لامُ القَسَم او لام الإضافة حُذفت الالف لأنها تُقارب اللام في النصبة وهي حرف وصل كثير الاستعمال وذلك قولك « للّهِ أفضلُ من المرأة. ولِلّهِ على المرأةِ فضلٌ » فكأنّ لامي القسم والاضافة ههنا مشبّهتان بهمزة الاستفهام من قول الله جلّ وعزّ (١ : « آللهُ أذِنَ لكم » ونحوه. وكذلك الف الوصل في « أيْمُ اللهِ وأيْنُ اللهِ » لأنها مفتوحة كألف اللام وهي كثيرة الاستعمال فتُجرى مجراها (٢ ؛ ٤) فتكتب « لَيْمُ اللهِ ولَيْنُ اللهِ » الّا ان تجعل ذلك نفياً بلا كما كان الايجاب باللام فيكتب « لا أيْنُ اللهِ » وقد كنّا ذكرنا تفسير ذلك ولا يُفعل هذا بسائر ألِفات الوصل غيرَ المفتوحة كقولك : « لاسْمُ اللهِ أجلُّ. ولِاسْمِ اللهِ خضعتِ الاسماءُ »

واعلم انه اذا دخلت الالف واللام على كلمة اوّلها لامٌ ودخلت عليها احدى لامَيِ القسم والاضافة حُذفت مع ألِفِ الوصل لامٌ وهي التي في اوّل الكلمة لأنّ ذلك عندهم كاجتماع اربعة اشباه فحذفوا اثنين كقول الله (٣ : « وللهِ على النّاس.. وللّذين يُؤلُون مِن نسائهم » وقولك : « لَلَيْلُ أخفى للويل » ويستوي التثنية والجمع والمذكر والمؤنث في هذا الموضع في الّذي كقولك « للّذي وللّتي وللّذَيْن وللّتَيْن وللّذين وللّاتِينَ » ولا فرق بين ذلك الّا بالشكل. واما من كتب (٣ « فَالِ الّذين كفروا » فلا يجوز ما كُتب في غير المصحف وقد بيّنّا ذلك. ولا يجوز ان تُجرى همزة الاستفهام مُجرى هاتين اللامَيْن فتُحذَف معها اللام التي تكون في اوّل الكلمة لانّ الألف لا توصل في الخطّ بما بعدها. وما لم نذكرهُ من هذا النحو قياسهُ ما ذكرنا (٤ ؛ ٤)

١) سورة يونس ع ٦٠
٢) سورة آل عمران ع ٩١ وسورة البقرة ع ٢٢٦
٣) سورة المعارج ٣٦ . راجع ما ورد سابقاً في الفصل الثاني من الباب الرابع

٧ حذف ما شُبِّهَ بالاشباه من كلمتَيْن

ومما يُشبه باجتماع الامثال في كلمة كانت في اوّلها الفا ولحقتها همزة الاستفهام مثل قوله (١ : « أَآمَنتُم لهُ قَبلَ أَنْ آذَنَ لكم » وقولك : « أَآمِرٌ انتَ امْ ناهٍ . وأَآخِذٌ انتَ امْ مُعْطٍ » . لا يُكتب ذلك الّا بألِفَيْن ومنه كلُّ كلمةٍ اوّلها ألف وصل ولَحِقَتْها همزة الاستفهام حُذِفت الصلة كما تقدّم تفسيره في باب الهَمْزة

ومنه حرفُ النداء فانّهُ يُحذَف النهُ اذا وقعت بعدها كلمةٌ اوّلها همزة قطع ويخلفُها صورةُ الهمزة بمكانها كقوله (٢ : « يَآ بَتِ لا تَعبُدِ الشيطانَ » وكقولهم « يآ أَمَتاه ويآ أَخَيَّ ويآ أُخَيَّ » بالتصغير والتكبير . « ويآ وَلَآ . ويآ ئِبا الرجل ويآ ئِتُها المرأة » . فان كانت الهمزة بعدها ألِف كآدَمَ وآخَرَ لم تُحذَف منها الفُ « يا » لسقوط الألف التي بعد الهمزة ولكن تثبت مثل « يا آدَمُ ويا آخَرُ » . وان وقعت بعدها الفُ وَصلٍ أُثبتت بعدها الف « يا » وحُذفت الف الوصل لأنَّ الزائدَ بالحذفِ أَوْلى كقولك « يآبْنَ الاكرَمين ويآمْرَةُ » وكقوله (٣ : « الا يَا سْجُدُوا للهِ » وقولك « يآللهِ » في لغة من وصل ولأنها تسقط (32) من اللفظ ايضاً كقول الراجز :

انّي اذا ما ألَمُّ ألَمَّا أقولُ يَالَّهُمَّ يَالَّهُمَّا

ومن ذلك قول الشاعر :

مِنْ أَجْلِكِ يَالَّتِي تَيَّمْتِ قلبي وانتِ بخيلةٌ بالوُدِّ عَنِّي

وقول ذي الرُّمّة :

أَلا يَا سْلَمِي يا دارَ مَيَّ (٤ على البِلَى ولا زالَ مُنهلًا بجَرْعائِكِ القطرُ

كأنّهم فعلوا هذا لاجتماع الألِفين مع كثرة الاستعمال ولم يريدوا اجراء هذا مُجرَى همزة الاستفهام لأنَّ تلك على حرفٍ واحد وهذه حرفان بمنزلة هَا في التنبيه . فاذا حُذف احدُهما خلَفَهُ الآخر ودَلَّ عليه

---

١) سورة طه ع ٧٦

٢) سورة مريم ع ٤٥

٣) سورة النمل ع ٢٥

٤) في ذيل الكتاب الحاشية التالية : « صرَف مَيّا ههنا لأنَّهُ جعلها على حيالها بعد سقوط الهاء كأنَّ اسمها مَيٌّ

وتحذف الالف من حرف التنبيه اذا وقعت بعدها همزة من اوّل اسم مضمر او الف وصل لكثرة استعمال التنبيه معها ولاجتماع المثلين وذلك قولك: ها أناذا وهآك وهآ أنتم ولا هآلله ذا . والمحذوفة ههنا الف الوصل ولا يجوز حذفها من مثل ها انّ زيداً في الدار . لانهُ ليس ممّا يكثر استعمالهُ مع حرف التنبيه ومنهُ قول النابغة(٢٤٤):

ها انّ تا عذرَةً إلّا تكُنْ نفعَتْ فانّ صاحبَها قد تاهَ في البلدِ

وتُحذف ألف ما ايضاً في غير هذا الموضع وسنذكر ذلك ان شاء الله

٨ الحذف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الاشباه في كلمةٍ

وممّا يُحذَف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الامثال لكثرة استعمالهِ وانّهُ لا يلتبس عند حذفهِ بغيرهِ ألف «إله» التي بعد اللام انّما هو في اللفظ «إلاهٌ» كما ترى . وكذلك يُفعَل اذا لحق الاسمَ الالفُ واللامُ فيكتب «اللهُ» وهو في اللفظ «اللاهُ» .

ومنهُ الف «العَلَمينَ» (العالمين) التي بعد العين انّما فعل ذلك لمّا كان في اوّل الاسم الفٌ ولام وفي آخرهِ واو ونون فطال وكثُرَ استعمالهُ مع ذلك حتى عُرِف وقاربت الالف اللام في الصورة فكثرت الاشباه فيهِ ولم يلتبس حين حُذف . واذا لم تُدخِل الالفَ واللام في هذا الاسم ولم تقع في آخرهِ علامة الجمع لم يَجُز حذف الالف من الكتاب . ولا تُحذَف منهُ ايضاً اذا ثُنّي كراهةَ الالتباس . وعلى هذا القياس حُذِفت من كلّ صفة كثيرة الاستعمال من اسماء الفاعلين اذا اجتمع فيها ما (٢٤٥) اجتمع في العَلَمينَ كالصّلحين (الصالحين) وهو شاذّ لا يقاسُ عليهِ . ولا يكتب احد «الجالسين والطالبين» ونحوهما الّا بإثبات الالف

وقد كتبوا «السَّمواتِ» (السماوات) بحذف الالف وهي يَعدلانِ بين الالفين واوًا وان كان في اوّلها التعريف وفي آخرها علامة الجمع فاذا كتبوا السَّماوَةَ او سَماوَةَ لم يحذفوا . وعلى هذا حذفوا الالف من «الملَكة» (الملائكة) بعد اللام لانّها جمعٌ ايضاً وفي آخرها تأنيث وكثُر استعمالها . وكذلك «سَلَمٌ» (سلام) عليك «في صدور الكتب «والسَّلَمُ عليك» لكثرة الاستعمال وانّ الالف كاللام في الصورة فحُذِفت في التحيّة ولا تُحذَف في مثل «السَّلامُ المُؤمن» ولا من مثل «عبدِ السلامِ»

ومما أُجري هذا المُجرى من اسماء الايام «الثلثا» «الثلاثا» لكثرة الألفات واللامات فيه مع اجتماع علامة التأنيث والتعريف فحُذفت منهُ الألف التي بين اللام والثاء.

ومن ذلك حذف الألف من «الألف» «الألاف» جمع ألف اذا كان العدد مضافاً اليها لانَّ ما قبل العدد يوضح المعنى وذلك «ثلثة آلف واربعة آلف» الى العشرة فان لم يُضَف اليها العدد أُثبتت فيها اللام فكُتبت هي الألوفُ التي تُعرف . «وهذه آلافُك» لئلّا تلتبس بالواحد. فان كانت (ﻫ) الآلاف جمع الف الذي هو آليفٌ وأُضيفت الاعداد اليها لم يَجُز فيها الحذف لأنّها لم تكثُر كثرة العدد. ومنهُ «ثَلَثُ» «ثلاث» في العدد اذا أُضيفت الى المعدود حُذف منها الالف فكتبتَ «ثَلَث نِسوة وثَلثمائة» لانَّ ما بعدها يوضحها . وان افردتَ أثبتَ الالف لئلّا تُشبه «الثُلث» الذي هو بعض الشيء كقولك: «انَّ من خلال المؤمن ثُلاثًا» . وان كانت صفةً حُذفت ايضاً كقولك: «النِسوة الثُلث والقُرى الثُلث» فاما «ثالثة» فتُحذف منها الالف مفردةً كانت او مضافةً وكذلك «ثُلثون» لأنَّ في لفظها علامة تأنيث وجمع واغنا حذفوا ذلك لكثرة استعمال العدد وكراهية اجتماع ما أشبهَ المثلَين مع انَّ معناهُ معروف . ولم يحذفوا الف «ثمنية» «ثمانية» لاجتماع مثلين ولكن تخفيفاً ولأنَّ فيها تأنيثاً يكون خلفاً من الالف ومعناها معلوم مفردة كانت او مضافة. وكذلك «ثمّون وثمّوك (ثمانون وثمانوك)» واما «ثمانٍ» فلا يجوز فيها حذف آلفها البتّة لانّها عِوَض من ياء النسب وليس يخلفها شيء فهي ثابتة في الافراد والاضافة كقولك «ثماني نِسوة وثماني مائة درهم وهؤلاء نِسوةٌ ثمانٍ . ولا تُجرى هذه مُجرى «ثمنية وثمنين» لأنَّ في هاتين علامتين صارتا كالعوض مما حُذف منها. والكتّاب (ﻫ) يحذفون في العدد والحساب ذلك فيكتبونهُ «ثمني مائة» وهو رديء ونحن ذاكرون ما حُذف تخفيفاً لغير اجتماع المثلين

٩ الحذف للتخفيف قياساً لا لاجتماع المثلَين في كلمة

فمن ذلك كلّ ياء في آخر اسم وما قبلها مكسورٌ وهي منوّنة في حال رفع او جرّ او ما اشبه ذلك لأنّها تُحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين في حال الإدراج وأُجري في الكتاب على ذلك في الوصل والوقف فكُتب «هذا قاضٍ ومررتُ بقاضٍ وهذه ليالٍ وثمانٍ وهذا عمٍ ومُستعٍ ومُستقصٍ» ونحو ذلك فان أُضيف شيء من

ذلك لو دخلتهُ الالف واللام أثبتت فيه الياء لأنّ التنوين قد ذهب فيُكتب « هذا المسمّى والليالي . ومررتُ بقاضيك وقاضيك . وهذا قاضي مكّة ومشتري الحمد » ونحو ذلك كذلك فهذا جارٍ على القياس

ومنهُ الياآت التي يتّصل بها الضمير بعد حروف الجرّ كقولك « مررتُ به ووقفتُ عليه ومررتُ بغلامه » وذلك أنها تُحذف من اللفظ في الوقف . وكذلك الواو بعدها في موضع (٣٤) النصب كقولك : « رأيتهُ وأنهُ ولعلّهُ » وليس ذلك هاهُنا بمنزلته في ضرورة الشعر نحو قول الشاعر :

فان يَكُ غثّا او سمينًا (١ فانّني سأجعلُ عينيهِ لنفسهِ مقنعا

ومنهُ حذف الف الوصل من « ابن » خاصّة اذا كانت صفةً لعلم او ما اشبه العلم من كُنيةٍ معروفة او لقبٍ غالبٍ او صفةٍ مشهورةٍ مضافًا الى مثل ذلك فانها تُحذف من الكتاب كما يُحذف التنوين من الموصول بابن في هذا الموضع من اللفظ ليكون في الخطّ دليلٌ على ما حُذف من اللفظ اذ كان التنوين ساقطاً من الخطّ على كلّ حالٍ وذلك مثل « محمّد بن عبدالله وعليّ بن ابي طالب وثابت بن قُطنة وابي عَمرو بن العَلاء وفلانِ بن الخليفةِ وفُلانِ بن فُلانٍ وهيّانَ بن بَيّانَ وطاهرِ بن طاهر » لأنّها كنايات عن تلك الاشياء . فان لم يكن ابنٌ صفةً لشيء من ذلك وكان مُضافاً الى مضمَر او مُبهَم او شيء غير ما وصفنا او كان مُثنًّى او مؤنّثًا لم يَجُز حذفُ ألفِهِ من الخطّ كما لا يجوز حذفُ تنوينهِ من اللفظ وذلك مثلُ « فلانُ ابنُ الجمّالِ وزيدٌ ابنُ هذا وهذا ابنُ زيدٍ وهذا ابنُكَ ومريمُ ابنةُ عِمرانَ وزيدٌ وعمروٌ ابنا فلانٍ » وان كان قد اضطرّ (٣٥) شاعرٌ فنوّنَ مثل هذه الاسماء الموصوفة بابنٍ وجب اثبات الالف في الخطّ ايضاً كقول الراجز :

جاريةٌ من قَيسِ ابنِ ثَعلَبَهْ كأنّما حِلْيَتُهُ سيفٌ مُذهَبَهْ

وقد يَحذفُ الكتّابُ الفَ « اسم » (بسم) اذا وقع بين الباء وبين اسم الله لمّا كان مفتتحاً لكل قولٍ وعملٍ وكتابٍ وكانت الالف حرف وَصل وعُرف معناهُ حذفوهُ

(١ في الاصل غثّاً بالنقط

تخفيفاً ولا يجوز ان يُفعَل ذلك بغيره ولا به مع غير الباء وغير الله عزّ وجلّ لانّهُ شاذٌّ عن القياس

وتُحذف ألف الوصل ايضاً من كلّ فعلٍ اصلهُ الهمزة اذا وقع قبلها حرفٌ لا ينفرد كالفاء والواو ولام القسم وذلك قولك : « زَيْدًا فَأْتِنِ وعَمْرًا فَأْمُرْ » لمّا سقطت ألف الوصل كُتبت الهمزة ايضاً لانّ ما قبلها لا ينفرد وهي تتبع حركة ما قبلها . وكذلك قولك « امّا زيدٌ فَأْتَمِنْ عَمْرًا وَأْتَمِنْ زَيدًا وَأْتَجِرْ عبدالله » . ويُكتب « ثمّ ائْتَجِرْ زيدٌ . وثمّ ائْتَمِنْ عمرًا » على حركة ألف الوصل لانّ « ثمّ » تنفرد والواو لا تنفرد . ويُكتب « واللهِ لَأْتجارُكَ خيرٌ من ائْتجار عمرٍو » لانّ « مِنْ » تنفرد . وامّا لام الاضافة مع مصدر هذا الفعل ونحوهِ فتجري مُجرَى باء الاضافة (٣٥) وكأنّها لا يجوز معها حذف ألف الوصل لأنّ الاسم اخفّ من الفعل وانّما يُحذَف ألف « اسم » على غير قياس وليست الباء والكاف واللام بمنزلة همزة الاستفهام اذا حُذفت معها الف الوصل من هذه الافعال المتصادر وفي غيرها ممّا ليس بمهموز . فهذا قياس ما لم نذكرهُ من هذا النحو

وممّا حُذف تخفيفاً على غير قياس واطّرد حتّى صار كاللازم قياساً ألفُ هاْ التي للتنبيه اذا كانت مع الاسماء المبهَمة خاصّةً وذلك للزوم الاشارة المبهَمة وكثرة استعمالها معهُ حتّى عُرف المعنى ولم يلتبس ووجب تخفيفُهُ كما فُعل ذلك بيا للزومهِ المنادى وذلك « هَذا وهَذي وهَذانِ وهَؤُلاء وهَكذا » ولا يجوز حذفها من « هاتي وهاتا » لقلّة استعمالها وانّ « هذِهِ وهذِي » تنوبانِ عنها وخوف الالتباس ولا يُحذَف من هاتين لمثل ذلك . ولا تُحذَف في « هاذاك » ولا في « هاؤُلاك » لمجيء الكاف لانّها انّما تجيء للاشارة الى غائب والغائب بعيدٌ من التنبيه . ولا يجوز ايضاً حذفُها في « هاهوذا وهاهي بهِ وهاؤُما ذانِ وهاؤُم أُولاء وهاهنّ أُولاء » ولا في « هاهنا » لئلّا تتّصل الهمزتانِ ولا في « ها نحنُ » لقلّة الاستعمال . واعلم انّ « هؤُلاء » قد حُذفت منها مع ألف هاْ همزةُ أُولاء ايضاً (٣٦) ونابت الواو عنها في الخطّ كما نابت في « هاؤُلاك » وقد حذفوا ألفَ « ذا » في « ذلك » وفي « كذلك » وألف « أُولاء » في « أُولئك » وذلك لاجتماع المتشابهِ في الخطّ . وكذلك الف « لكن » الخفيفة والثقيلة . وما حُذف على الشذوذ كثير نذكرهُ ان شاء الله

١٠ الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الاشباه ولا للتشبيه باجتماع الاشباه

فمن ذلك ألف « الرَّحمن » (الرَّحمان) اذا دخلت عليهِ الالف واللام وذلك لشهرتهِ وكثرة استعمالهِ مع الله كما فعل ذلك « بسُبْحَنِ (سُبْحان) الله » تُحذف النُّهُ ما دام مضافاً الى الله لانَّهُ كثر استعمالهُ في تنزيهِ الله بهِ عند كلّ حادثةٍ وكذلك هو ان حُذفت الاضافة منهُ في اللفظ وكان معناهُ ذلك كقول الاعشى :

اقولُ لمّا جآءني فَخْرُهُ سُبْحَنَ من علقمةَ الفاخرِ

فان أُضيف الى مضمر كقولك « سُبْحانك لا كفرانَكَ » او نُوِّن لم يَجُزْ حذفُهُ كقول امية :

سُبْحَانَهُ ثمَّ سبحانًا نَعُوذُ بهِ وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجَمَدُ

(٣٤) ولا يَجوز ان يُجرَى مُجرى سُبْحنَ الله شيءٌ ممَّا يشبههُ لانهُ على غير قياس

ومن ذلك « الحرث » (الحارث) الذي هو علم ما دامت فيهِ الالف واللام تُحذف النُّهُ لانهُ ممَّا يكثُرُ تسميةُ العرب بهِ فهو لا يلتبس بغيرهِ فاذا نُزعت منهُ الالف واللام كُتبت فيهِ الالف لئلّا يُشبهَ « حَرْثًا » . وكذلك « القَيِّم » (القاسم) فان عُني بهما الصفة كالحرّاث والقسّام لم يَجُز حذفهُ . ومثلهما صَلِح وخَلِد ومَلِك » (صالح وخالد ومالك) اذا كانت اعلاماً حُذفت الالف لانَّهُ ليس من اسمائهم « صُلح » ولا « خُلد » ولا « مُلك » فيلتبس بذلك . فان عُني بها الصفات لم يَجُز الحذف

ومن ذلك الف « ابرهيم واسمعيل واسحق وسليمن وهرون » حُذفت لانها اسماء انبياء مشهورة كُرّرت في القرآن وكثر استعمالها فوجب تخفيفها . ولا يجوز ذلك في ما كان من الاسماء على ابنيتها « كإسرافيل وميكائيل والياسَ وقُنْيانَ وقارون » لقلّة الاستعمال

ومن ذلك الفُ لُقمنَ (لقمان) تُحذف لانهُ شُهِر بالحكمة وضُرب بهِ المثل فكثُر استعمالهُ . و « عُثمَن » (عثمان) لانَّهُ شُهر بالخلافة والصحابة . و « مُعَوِيَةَ » (معاوية) لشهرتهِ وطولهِ وتأنيثهِ . و « مَرْوَنَ » (مروان) لانَّ بني مروَن شُهروا بالملك . و « سُفين »

(سفيان) شُهر بالعلم والوَرَع. فكثر استعمال هذه الاشياء لما بيّنّا فخُفّف ولا يجوز ان يُفعَل (٣٦). مثل ذلك بنظائرها « بسْرَان وسَلْمَانَ وبُرْجَانَ وعَفَّانَ »

ومن ذلك حذفهم الفَ « دَرَاهِمَ » اذا كان العدد مضافاً اليها وذلك انَ العدد شيء يكثر استعمالهُ وانّ الدراهم قيمةٌ لكلّ سِلعة فوقوعها في الحسبان كثير فهي معروفة لا تلتبس بشيء فيُكتَب « ثلثة دَرْهِمْ واربعة دَرْهِمْ » الى العشرة بغير الف (١ فإنْ افردتَ من العدد اثبتَ فيها الالف لئلّا تلتبس بالواحد فكتبت « عندي دراهمُ واخذتُ دراهِمَكَ »

ولا يُفعَل « بدَنَانِير » ما فعلوا بدراهمَ ولا « بقَرَاريطَ » ولا « طَسَاسِيجَ » لئلّا تتصل النونانِ والرّآنِ والسينانِ وتُتركَ الالف حاجزًا بينهما . ومَن حذفها في دنانير لَزِمَهُ حذفُها في قَرَاريط . واما الدّينار الواحد فاذا كان تمييزًا بعد خمسة عشر وعشرين ونحوهما حُذفت النُّونُ لأجوق الآلِف في آخرِ . واذا كان بعد مائة والف لم تُحذَف . وذلك « عشرون دينرًا (دينارًا) ومائة دينارٍ » . واما « الدَّوانيق » (الدَّوانيق) فتحذف الفُها اُضيف اليها العدد او لم يُضَفْ لانّها لا تلتبس باحدها . وكذلك ايضاً يكتب « دَنِق » (دانق) بحذف الالف وهما من الاثمان فلا يلتبسان لكثرة الاستعمال والشهرة ولا يجوز حذف ما كان على ابنية هذه الاشياء كتَنَاْبِرَ (٣٦) ومَسَاجِدَ ومَسَاكِنَ وطَابِقٍ وخَواتِمَ » لأنَّ هذا الحذف شاذٌّ

ومن ذلك حذفهم الف جُمَدى (جمادى) لَمّا كان علَماً مشهورًا وهو اسم شهر يكثر استعمالهُ في التاريخ وغيرهِ . وهو مع ذلك مؤنث خفّفوهُ فحذفوا منهُ ما لا يجوز حذفهُ من نظائرهِ

ومن ذلك حذفُ الالف والواو من قولك « اَبجَد » وهو كنية بمنزلة « ابي زاد (٢ والالف من « هَوّز » (هوّاز) وهو اسم بمنزلة « كَوّان » والواو من « كَلَمُن » (كلمون) وهو اسم بمنزلة « قَلَمون » والياء والالف من « قُرَشت » اصلهُ « قُرَيْشِيات » وهو كجمع « قُرَيْشِيَة » تصغير « قُرَاشِية » يدلُّك على ذلك قول الاعرابيّ :

---

١) هذا الاصطلاح لا يُجرَى عليهِ اليوم (المشرق)

٢) يريد انّ اصل اَبجد « ابوجاد » وهو من المزاعم الضعيفة . ومثلهُ قولهُ في بقية الاسماء الابجدية (المشرق)

اتيتُ مُهاجرينَ فطعنوني ثلثة أسطر مُتتابعاتِ
وتخطُّوا لي اما جادٍ وقالوا نعلّم مصحفًا وقُرَيْشياتِ

فقد بيّن باعرابه هذه الاسماء معانيها

وكان ابو عمرو بن العلاء يقرأ « فاصدَّقُ واكونَ من الصالحين » بواو (١ ويقول « كتب هذا بحذف الواو كما يُكتب كلمن بلا واو

فقد اتينا على عامّة ابواب الحذف وما لم نذكرهُ فني ما ذكرنا دليل عليهِ

(الهِ بقيّة)

النقابات والإضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح

سوقُ الإضراب عن الأعمال هذه الايّام رائجةٌ رواجاً لم يُعهَد له مثيل من قبل. فكان ذلك من اكبر العوامل التي ارتبكت لها المعاملات وشلّت الحركة وتعطّلت المصانع وقلّ الإنتاج وارتفعت الأثمان وعمّ الضيق . واننا لنرى الاعتصابات على ما هي اليوم من الثوران منذرةً بهبوب عاصفةٍ هوجاء قد تُقوّض اركان النظام الحالي اذا لم تتدارك الحكومات الامر وتنظر بعين العناية في اسباب الشكوى ودواعي التذمّر فتجيب منها ما كان عادلاً وتعرض عمّا جاوز الحقّ . ثمّ تنشط للعمل على تفريج الازمة الاقتصاديّة التي أحكمت حلقاتها وتضرب بيدٍ من حديد على مغالاة التجّار واشتطاط ارباب المصانع ومطامع العمّال

اجل ان امثال هذه الاعتصابات التي نشهدها اليوم قد يعزّ على الحكومات مهما قويت سلطتها ان تخمد من شوكتها الى النهاية اذا لم تتوسّل الى محو الروح الثوريّ النافخ في صدور الزعماء القائمين بها . فيرجعوا عن مبادئهم التي من شأنها تقويض اركان المجتمع الانساني الى مبادئ العدل والحقّ المتبادل

---

١) في القرآن في سورة المنافقين (ع ١٠) : وأكُنْ

وهذا الروح يصعب محوُهُ من صدور الزعماء والمهيّجين في زمن قريب الّا اذا قامت جماعات العمّال وادركت التجربة فشقّت عصا الطاعة على زعمائها المفسدين وسارت بهداية زعماء مستقيمين يريدون لهم حقيقة الخير والنفع من طرق مشروعة لا غبار عليها

وقد رأيتُ خيال هذه الاعتصابات الآخذة بعضها برقاب بعض وحركة النقابات المستمرّة اللتين ينقل البرق صداهما الينا كلّ يوم ان اوافي قرّاء المشرق الكرام ببحث عن النقابات والإضراب فاقول :

بحث اوّل عن النقابات

١ نظرة عامّة

المرء — عاملًا او مستعملًا — مكلّف بالشغل وكدّ النفس تحصيلًا للرزق . وبينهما تفاوت في الحالات لا بدّ منه لتبادل المنافع والمصالح ولقيام الهيأة الاجتماعية وعمران الكون

غير أنّ بين اعضاء المجتمع الانساني على تفاوتهم صلاتٍ مترابطة وواجباتٍ متبادلة أعلنت بها الشرائع والنواميس . فاذا حُفظت سلم النظام وساد الوئام واذا خولفت او أُهملت ساءت العاقبة فقامت الفوضى وعمّ الإضراب

والمرء بطبيعته لا يأمن العثار وقد يلج فيه . والقويّ اميل الى الخطر من الضعيف فالعامل الذي لا يملك من حطام هذه الدنيا غير قوّة عضلاته وجودة بنيته منقادٌ اضطرارًا الى مشيئة صاحب المال يجدّ ويدأب في العمل سعياً وراء الرزق طبقاً للشروط التي يقرّرها صاحب المال ورفقاً للمكان والزمان اللّذين يعيّنهما والّا فاتَهُ رزقُهُ وتجرّع غُصَص الضنك . وقد يهون الامر على العامل لو لزم المالك حدّ العدل والاعتدال . على ان الغرور قد يحمل فريقاً من اصحاب الاموال الى الإخلال احياناً بواجباتهم وهذا مما يؤدّي الى إلحاق بعض العسف والحيف بالعامل الذي لا يستطيع تداركهُ وحدَهُ . فنفطن الى مواطن الضعف منهُ وادرك انّهُ لا يملك بفردهِ قوّة كافية تمكّنهُ من استرجاع حقّهِ الضائع او يدفع بها كيد المتغطرسين من الاولياء . فوجّه نظرهُ الى زملائهِ ودعاهم الى التضافر والموازرة فنظم النقابات

والنقابات جمعيات تجمع شمل العمّال من ابناء المعهد الواحد او الحرفة الواحدة على شروط معيّنة يتّفقون عليها ويتعهدون بتنفيذها ويتعاهدون على ان يناصروا بعضهم بعضاً في كل مايؤول الى تحسين حالتهم المادّية والادبيّة والسهر على مصالحهم ودرء الضيم عنهم عند كل طارئ . ومما يقصده منشئو النقابات ان يتعارف الافراد الذين يمتهنون مهنة واحدة ويتباحثوا فيما بينهم في شؤون حرفتهم المشتركة ويجمعوا الاموال لتأسيس معاهد علميّة او مؤسسات خيريّة كملاجئ للعجزة والعاطلين منهم او مُروّجات صناعية الى غير ذلك

وبقدر ما تنمو النقابة بوفرة عدد شركائها واجماع كلمتهم واحكام عرى الاتحاد بينهم تصبح كذلك اقوى عملاً واعزّ جانباً فيُرْهَب امرُها ويُخشى بطشها

ان العامل المتزل والمتخلف عن رفقائه لا يبوء الّا بالخيبة والخسران اذا اغتصب حقّه غاصبٌ اذ لا مُعين له يأخذ بناصره . والاشتراكيون من اشدّ الدعاة الى مناصرة النقابات لأنّهم اتخذوها سلاحاً ماضياً في ايديهم يقهرون به اصحاب الاموال . ولقد ذهبوا الى ان احبّ الاشياء الى صاحب المال ان يرى أُجراء متفرقي الكلمة مشتّتي الرأي لا عصبيّة تجمعهم ولا آصرة تربطهم

ولهذا حرص العمّال على تأسيس النقابات . وما كادت الحكومات تُقرُّها من عهد قريب حتى انتشرت انتشاراً عظيماً وتعدّدت النقابات فصارت نقابة لكل اصحاب معهد واحد او حرفة واحدة

ولم يقتصر الامر على الصنّاع بل سرَتْ حتّى النقابات الى اصحاب الاموال وارباب المصانع والاولياء فتكّروا في امرهم وخافوا بطش العمّال فاحتذوا حذوهم فأنشئت نقابات للاولياء كما أُنشئت للعمّال

يلوح مما تقدّم ان النقابات في ذاتها جمعيات مفيدة اذا لزمت حدوداً تراعي معها حقوق اعضائها دون مساس بحقوق الغير . وما دام الامر كذلك فلا جُناح عليها ولا غبار على القائمين بها . وهذا ما دعا جميع السلطات من مدنيّة وكنسيّة الى الاعتراف بها واثباتها . غير ان من النقابات من يحيد عن الطريق القويم ويتصرف عن الغاية الاصليّة الى مهواة الثورات والقلاقل كما هي الحال في روسيّة وفي سائر بلدان اوربا . وقد قال المسيو لاروا بوليو كبير رجال فرنسا الاجتماعيين في كتاب له :

« انك تجد معظم العمّال ذوي النشاط والهمّة ينصرفون الى اشغالهم وتصبح النقابة بتغيّبهم عرضةً لبعض المثلثين الشاغبين الذين يتصدّون لقيادة الآخرين بقصد تسخيرهم لمصلحتهم الذاتية . فهم ينتحلون لانفسهم حقّ التكلّم عن تلك الجماهير الغفيرة مع انهم ليسوا الّا نفرًا منهم »

٢ تاريخ النقابات

يرجع امر النقابات كما نعرفها اليوم الى عهد قريب الى حوالي منتصف القرن التاسع عشر . على انه كان للعمّال منذ القرن السادس عشر جمعيّاتٌ تقرّب بينهم وتعرف في فرنسة « بمصانب الرفقاء » (Compagnonnages) وفي انكلترا « بشركات العمال » (Trade-Unions) وفي سائر الممالك بما يقرب من هذه الاسماء . وكانت هذه الجمعيات تعمل تحت طيّ الخفاء لان الحكومات كانت تطاردها وتفتّ في عضد أعضائها لريبةٍ سبقت الى نفسها من جرّاء تصرّف المنتمين اليها . ثم تطوّرت هذه الجمعيات حتى عُرفت في فرنسة « بطوائف الحِرَف » (Corporations) وهي تختلف تمام الاختلاف عن نقابات اليوم . وما زالت على منوالها في فرنسة حتى امر المسيو تورغو الوزير الفرنسوي المشهور على عهد لويس السادس عشر بالغائها سنة ١٧٧٦ فألغيت وذلك حرصاً على حرّية التجارة وتأييدًا لمبدإ الحرّية الفرديّة . فبينما ترى النقابة تترك للعامل الخيار في الانضمام اليها او الانفصال عنها كانت طوائف الحِرَف تقيّد العامل وتكرهه على الاحتراف بحرفة معيّنة دون سواها ولا تسمح له مطلقاً ان يعدل عنها الى غيرها او أن يبدل وليّه بوليٍّ آخر . كما انها كانت تحظر عليه حقّ الانتقال من بلدة الى اخرى سعياً وراء الربح وانتجاعاً للرزق . ولم تكن الطوائف تنصف العامل من وليّه الّا عند الضرورة القصوى والذنب الفاضح . وللأولياء على العمّال السيادة المطلقة ولم يكن من حق للعامل ان يصير وليًّا بدوره

ثم لما كانت الثورة الفرنسيّة سنة ١٧٨٩ وأُعلنت مبادئ الحرّية أبَتْ على العمّال حرّية التضافر والتضامن خشيةَ ان يعودوا الى نظام طوائف الحرف الممقوت . اصدرت قانوناً يعاقب كلَّ طائفة من العمّال او الاولياء يزيد عددها على العشرين . فلم يقابل العمّال هذا القرار بعين الرضى لانهم رأوه مجحفاً بحقهم إجحافاً بيّناً بينما

كان الاولياء يعقدون بينهم الاتفاقات السرية التي يخفى امرها على الحكومة نظرًا لقلة عدد الاولياء والمتوالين بالنسبة الى جماهير العمّال

وما زالت الحال كذلك حتى سبقت الحكومة الانكليزية جميع الحكومات فأقرّت متّحدات العمّال في بلادها سنة ١٨٢٥ ثم اعترفت رسميًا بشخصيّتها المعنوية سنة ١٨٧٦ . وتابعت الحكومةُ الفرنسوية الحكومةَ الانكليزية فأقرّت نقابات الحرف سنة ١٨٨٤ سواء كانت من الرؤساء ام من المرؤوسين على قاعدة ان يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء

والمتّحدات الانكليزيّة حُرّمت ردحًا من الدهر تحريمًا عنيفًا على ان العمّال لم يبالوا بهذا التحريم . ثم اعترفت الحكومة بها واصبحت اليوم لا تكليف عليها سوى تسجيل قوانينها طبقًا لقانون سنة ١٨٧٦ . وهي تتباين عن النقابات الفرنسوية في نشأتها وفي ما صارت اليه . ففي بدء عهدها كانت مصدرًا للمنازعات ومهدًا للثورات والفتن وما فتئت تناصب ارباب الصناعة العداء فضلًا عن ضررها الجسيم بالصناعة الوطنيّة . ومن مبادئها تعزيز الحواجز القائمة بين كل حرفة واخرى : كأن تحرّم على النجّار وهو في بيت يبتني ان يحرّك بعض الحجارة بدعوى ان ذلك من شأن البنّاء دونهُ . ولكنها اخذت تدريجيًا تخفف من حدّتها وتعود عن المشاحنات والمناوآت حتى طرحت عنها كلّ فكرة ترمي الى الثورات سنة ١٨٤٠ واصبحت من ذلك العهد معهدًا يتخرج فيه المحافظون الانكليز . بخلاف النقابات الفرنسوية التي بدأت بان تكون عصائب موادعة ومسالمة ترمي الى تحسين حال العامل ثم ما لبثت ان تعدّت مهمّتها بفعل المحرّضين والمهيّجين واصبحت باعثًا للقلاقل والفساد ولا سيما في هذا الوقت الاخير حيث تحاول قلب الحكومة الحاليّة واقامة حكومة من العمّال على أنقاضها كما هي الحال في روسيّة البلشفية . وهذا ما دعا المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسوية الحالية الى طلب محاكمة نقابة العمّال العامّة بقصد الغاء قانون سنة ١٨٨٤ او تعديله على اثر إذاعتها على العمّال في اول ايّار الماضي دعوة الاعتصاب العامّة

٢ النقابات والعمال

ما كادت النقابات تظهر في عالم الوجود وتبيح الحكومات تنظيمها حتى صادفت من نفوس العمّال رواجاً عظيماً وهرعوا الى الانتظام في سلكها فضمّت بين نطاقها عدداً عظيماً منهم . ففي فرنسا بلغ عدد النقابات ١١،٥٠٠ نقابة سنة ١٩١٢ تضمّ ما ينيف على مليوني عامل . وهذا يعادل ٥٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي انكلترا بلغ عدد النقابيين ٤٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي المانيا بلغ عدد النقابيين ثلاثة ملايين عامل يعادلون ٣٥ في المائة من مجموع العمّال . وفي اميركا بلغ عددهم مليونين ونصف مليون من العمّال

وليست قوة هذه النقابات مقتصرة على كثرة عدد اعضائها بل تستند الى وفرة مالها ايضاً فقد عُني النقابيون بجمع الاموال الطائلة وايداعها خزانة النقابات لتأتي لهم بالعون عند الحاجة . وكانت هذه الاموال بادئ ذي بدء مخصصة لإمداد العمّال ايام الإضراب ثم توسّعت في الامر وأوقفت جانباً عظيماً منها على غير ذلك مما يؤول الى تحسين حالتهم وتثقيف عقلهم وضمان نعيمهم ورخائهم ايام الشدّة

وهذا ما دعا نقابات العمّال في بعض احوالها ان تتصف بصفة اقتصادية ظاهرة . فتُدعى حينئذٍ بشركات التعاون (Sociétés coopératives) . وعلى هذا الاساس شُيّدت الملاجئ وأُنشئت صناديق التوفير والاقتصاد . وصناديق إمداد المسافرين . وصناديق مساعدة المتفرّغين . وشركات التأمين من الاصابات البدنيّة . وشركات المداينة . وشركات الانتاج . وشركات الاستهلاك . ومكاتب التخديم الى غير ذلك

ولقد بسطنا في هذا المقام مناصرة العمّال فيما بينهم ولا بدّ لنا ان نذكر توفية للبحث متمنّياتهم على ارباب المال واولياء الصناعات . وخلاصة هذه المطالب تقليل ساعات العمل اليومية وجعلها ثماني ساعات . والكفّ عن العمل يوم السبت بعد الظهر ويوم الاحد بتحابته . وهذه الطريقة تُعرف بالاسبوع الانكليزي . وابطال العمل التزاماً (مقاولة) . وزيادة الاجور ومشاركة العامل في الارباح . وعدم تخديم العمّال بدون وساطة مكاتب التخديم . وامتناع الولي عن طرد العامل بدون

محاكمة امام مجلس تأديب يشكل من ممثلي النقابة وممثلي صاحب المال . وتعيين رواتب للمتقاعدين او الذين يصابون باضرار اثناء العمل . وقد تطرق العمال الثوريون الى طلب نزع الملكية وجعل المناجم والشركات الكبيرة كالسكك الحديدية مُلكاً للأمة . اي وقفاً على العمال . الخ . .

٤ انواع النقابات

تُقسم النقابات فيما بينها الى انواع عديدة نقتصر في بحثنا على درس النوعين الكبيرين منها . وهما النقابات الثورية والنقابات الإصلاحية او الكاثوليكية . ولكل منهما تعاليم ومبادئ تناقض ما به مذهب الاخرى . فالاولى ترى ان تحقيق رغباتها لا يكون الا بالثورة وبالجهاد العملي والثانية تعتمد على التؤدة والمسالمة . قال المسيو دوران احد كبار كتّاب العمران : « ان بين النقابات الكاثوليكية والنقابات الثورية هوّةً سحيقة للغاية . فعلى قدر ما تستحق الاولى من التشجيع والتعضيد تستحق الاخرى من الرذل والإقصاء . فليس الاسم فقط يفرق بينهما . فانت حرّ بان تلقّب الواحدة بالنقابات الكاثوليكية او المسيحية او الاصلاحية او بما سوى ذلك من الاسماء . فهذا لا يكفي بل عليك ان تنظر الى الروح الذي يضطرم فيها والى التعاليم التي تبشر بها . والى المبادئ التي ترتكز عليها والآداب التي تسير بموجبها . فالنقابة الكاثوليكية تحترم الشريعة الالهية وترعى العدل وتؤيد الحرية وتصون الملكيّة وتعترف بالسلطة الشرعية . اما النقابة الثورية فتعتبر ذاتها سيدة نفسها فلها قانونها الخاص وتتحكّم كيفما شاءت بأملاك صاحب المال وبحرية العمال »

والنقابات الثورية من ألدّ اعداء الدولة والوطن . يكرهون الدولة لانها تؤيد النظام الحالي في التفاوت بين الطبقات . ولأنها تصون لكل مالك ملكهُ وتُقر الغنيَّ في غناه . ويمقتون الوطن لأنَّ في نصرته نصرةَ الدولة فضلًا عن ان حبَّ الوطن يعزز الحواجز القائمة بين طبقات العمال المشتتين في مختلف بلدان العالم ويفسد كلَّ تضامن عام بين الطبقات . وهذا ما قاله السنيور سرجيو بانونزيو من كبار زعماء الاشتراكيين : « ان النقابة الثورية تقاتل الدولة لان الدولة تمثل في نظرها الاغنياء وتعتبرها آلة لتنفيذ مصالح طبقة المتمولين ولكنها ليست كالفوضى تقاتل كلَّ سلطة .

فالفرق الجوهري بين النقابة والفوضى ان الاولى تنكر وجود الدولة ولكنها لا تنكر جميع السلطات الاجتماعية اما الفوضى فتنفي جميع السلطات ايًا كان نوعها »

واننا نورد هنا للقراء على سبيل المثل بعض المبادئ الوخيمة والتعاليم السيئة التي لا تخجل النقابات الثورية من المناداة بها :

« دين العامل طبقتهُ »

« ليس للعامل وطن »

« الوطن لاصحاب الاملاك ومن الجنون ان يعتقد بوجود وطن لمن لا ملك لهُ »

« يجب محاربة الدولة لانها تعتمد في سلطتها على القوة المسلحة . ويجب محاربة الجُندية ففي محاربتها محاربة الدولة » — « يجب قلب نظام العمران الحالي لانه نظام فاسد يجحف بحقوق البشر . فهناك طبقتان تتنازعان البقاء : طبقة ارباب المال الذين يملكون بدون ان يشتغلوا وطبقة العمّال الذين يشتغلون بدون ان يملكوا . و بعبارة اخرى الماليون والاسياد من جهة والمملوكون والمستبدُّون من جهة ثانية » — « يجب محاربة الحكومات سواء كانت دمقراطية ام جمهورية ام ملكية لان لا مساواة فيها . وما المساواة الا خدعة للشعب . ومن الخطإ الفاحش ان يعتقد العامل انه مساوٍ لصاحب المال »

« على العمّال ان يحتقروا رجال السياسة والصحافة والنيابة والوزراء لانهم يسعون وراء مصالحهم الخصوصية ويهملون مصالح العمّال »

« انَّ ثورياً يصير وزيرًا لم يعد قط وزيرًا ثوريًا »

« على العمّال ان يكرهوا الحروب ويلقوا السلاح من ايديهم او يصوبوا نيران بنادقهم الى صدور ضبّاطهم كلما دعت الحاجة »

« ليس عدوُّ العامل زميلهُ الذي يكدح وراء رزقهِ من الشعوب الاخرى بل ان عدوَّهُ اللدود من كانت طبقتهُ من غير طبقتهِ »

« الحرب حربُ طبقات لا حرب شعوب وأمم »

وقد يطول بنا الشرح لو حاولنا ان نأتي في بحثنا هذا على جميع التعاليم التي يأخذ بها العمّال الثوريون ولكننا نكتفي بذكر ما تقدَّم وقد اقتطفناها من كتبهم واقوال خطبائهم . وفي ما اجملنا دليل كافٍ على الخطر الرهيب الذي يهدد نظام الكون لو اخذ العمّال بهذه التعاليم وعمّموها

اما النقابات الاصلاحية او الكاثوليكية فتسفه هذا الرأي وتحاربه محاربة شديدة وتبشر بالوفاق والمسالمة وتسعى وراء تحقيق رغباتها بالطرق المشروعة . وهذه النقابات جديرة بالتشجيع والمساعدة . وقد رأينا رؤساء الكنيسة يناصرونها ويسهرون على قوانينها لئلا يتسرَّب اليها شيء من المبادئ الفاسدة . وفي القوانين التي

وضعها قداسة البابا بيوس العاشر ومن قبله قداسة البابا لاون الثالث عشر خير دليل على صلاحية هذه النقابات . واننا نقتطف هنا بعض المواد من قانون قداسة البابا بيوس العاشر للنقابات :

(المادة السابعة) — ان الواجبات التي يفرضها العدل على العمّال والصنّاع هي :

« القيام خير القيام بالاعمال التي تعهّد العامل من تلقاء نفسه بتنفيذها طبق النظام »

« الامتناع عن إلحاق ضرر ما باموال الغير واهانة ما الشخص الولي »

« الامتناع عن الالتجاء الى القوة او الجنوح الى الثورة حتى في حالة دفاع العامل عن حقوقه الشخصية »

(المادة الثامنة) - ان الواجبات التي يفرضها العدل على ارباب الاموال وعلى اولياء الصناعات هي :

« اعطاء العمّال اجرة عادلة »

« عدم سلبهم ما يدّخرونه سواء كان الامر بطرق العنف او الغش او الربا المعاني او المستتر »

« منحهم الحرّية التامة في تتميم واجباتهم الدينية »

« عدم تعريضهم للرشوة او تسخيرهم للقيام باعمال تثير الشكوك »

« حضّهم على حبّ الأسرة ودفعهم الى الاقتصاد »

« عدم تكليفهم باشغال تفوق طاقتهم او لا تناسب اعمارهم او اجناسهم »

ولا بدّ من ان يكون القارئ قد ادرك افضلية الشرائط الحكيمة التي تفرضها الكنيسة على المبادئ التي يبشر بها الزعماء الثوريون . وفي ما تقدّم البيان الكافي على ان الكنيسة لا تنفر من النقابات ولا تبغي بالعمّال شرًا . بل هي تعرض عن النقابات الثورية التي عرّفها الكردينال مري دالمال سنة ١٩١٣ بقوله : « انها نافية للدين هادمة لحقوق الفرد والأسرة مقوّضة لنظام العدل والمحبة البشرية » . اجل انها تنفر من هذه النقابات وترذلها وتعمل بكل قواها على وضع حدّ للأضرار التي تلحقها بالهيأة الاجتماعية ولكنها في الوقت ذاته تشجع كل التشجيع النقابات الاصلاحية التي منها وحدها يُرجى النفع والخير للأمّة البشرية وتحسين حالة العمّال وتحويلهم مطالبهم المشروعة بطرق مشروعة وتنشيطهم على القيام بواجباتهم الدينية والوطنية

وفي العام المنصرم كتب الكردينال كسباري بهذا الصدد رسالة الى مدير احدى النقابات الكاثوليكية في فرنسا ومما جاء فيها : « انّ قداسته يرغب من صميم فؤاده ان تتألف في كل انحاء فرنسة نقابات قوية تتنشق بالروح المسيحي — كما هي

نقابتكم — فتضمّ اليها العاملين والعاملات المختلفي الحرف والمهن تحت لواء جمعيات عمومية واسعة النطاق تربطهم روابط المحبة الاخوية . لان الخير الاعظم يعرف حقّ المعرفة انه بتشجيعاته هذه يخدم الطبقة العاملة في اقدس حقوقها وفي الوقت نفسه يوطّد قواعد السلام في المجتمع البشري »

حبّذا لو اخذ البشر بهذه التعاليم الرشيدة فاعارها ارباب المال واولياء الصناعات جانب التفاتهم ورضخ لها العمّال لساد الوفاق وعمّ الرخاء وانقضّت مشاكل عديدة من تلقاء نفسها ولم يؤدِّ بها الحال الى ما هي عليه الامور الآن من التفظيع والتقتيل في روسيّة

هنا تتجلّى الروح الدينية باجمل مظاهرها ويشعر الانسان بحاجة شديدة اليها . فهي الكفيلة بتحقيق النجاح بينما تخفق كل وسيلة سواها

انتهى كلامنا عن النقابات ويليه في عدد آخر الكلام عن الاضراب ان شاء الله

الكنيسة ومناهضة الحروب

للخوري بطرس فرج صقير احد اساتذة كلية القديس يوسف

بعد ان نشرنا في هذه المجلّة مقالةً في الانجيل والسلم العامّ قرأنا في عدد مارس المنصرم من مجلة الهلال الغراء مقالاً لمنشئها له مع الموضوع الذي كنّا بصدده علاقة . فقد جاء فيها ان نفرًا من اعاظم الانكليز انشأوا مشروعاً عظيمًا يعرف باسم « عصبة الاديان » والغاية منها على ما في نشرتهم الرسمية « تنظيمُ القوى الروحية في العالم لتوطيد السلم العام والعمل على ما فيه الصلاح القوميّ والدوليّ »

ومما قاله صاحب الهلال عن هذه العصبة ما حرفه :

« وقد اطّلعنا على محضر المؤتمر الذي عُقد في انكلترا لانشاء عصبة الاديان فوجدنا بين الحاضرين اساقفة ممثلين لاديان ومذاهب مختلفة من اساقفة وحاخامين فضلًا عن كبار المفكرين ورجال الاصلاح الاجتماعي »

وقد اردف مُحدِّثنا هذه الفكرة ونعم القول :

« هل من عامل في العالم افعل في نفس الانسان من العامل الديني ؟ كلا . بواسطة الدين وحده يتيسر بلوغ هذه الغاية المنشودة وبه دون غيره تنفخ الروح والحياة في هيكل عصبة الامم . فما عصبة الامم الا جسم بلا روح وصورة بلا حياة وانما روحها وحياتها «عصبة الاديان» تبثُّ مبادئ المحبة والتعاون والاخاء بين بني البشر لان الدين اشد العوامل الاجتماعية تأثيراً في الناس واقربها الى قلوبهم وافئدتهم . وبعبارة اخرى ان عصبة الاديان المراد انشاؤها هي الضامن الوحيد لثبات عصبة الامم »

فهذا امر لا يقع فيه شبهة اذ يثبتهُ الدليل ويشهد بصحتهِ التاريخ . فلو قلبنا صفحات التاريخ قديمهِ وحديثهِ لوقفنا على من لهم اليد الطولى في اطفاء جذوات الحروب ونشر رايات السلام لاتضح لنا ان في مقدمة الذين راعتهم امر الحروب فصرفوا عنايتهم في سبيل ابطالها او اقله في تخفيف اهوالها انما هم رجال الدين ولاسيَّما ارباب الدين الاكثر شيوعاً في العالم اعني بهم روساء الكنيسة الكاثوليكية

قلنا الكنيسة الكاثوليكيَّة ولا نخاف في قولنا لومة لائم مما تشدَّق بعض الكتبة ممَّن لا يعرفون من التاريخ الا قشرتهُ او يستندون الى اقاويل اعداء الكنيسة او يخلطون بين الكنيسة الكاثوليكيَّة والشيع البروتستانيَّة او ينسبون الى الكنيسة ما فعلهُ بعض الافراد كما فعل «سيد امير علي» في مقالة معنونة بروح الاسلام نشرها في مجلَّة البيان المصريَّة ولم يكتفِ ان يطرئ روح الاسلام وهو حقُّهُ لسنا لنتعرَّض لهُ فيهِ سواء أخطأ ام اصاب لكنَّهُ تحامل على النصرانيَّة بكلام نعدُّهُ اهانةً لديننا مناقضاً لكل شواهد التاريخ . فممَّا كتبهُ هناك بعد وصفهِ للدولة الرومانيَّة ومساوئها (ص ١٧٥) قال :

« فلما دخلت النصرانيَّة في العالم الروماني لم تحدث ادنى تغيير او تبديل في آراء مُشرعي الرومان عن مسألة الواجبات الدوليَّة بل بقيت الحرب على ما كانت عليهِ قبل من فظائع التخريب والعسف والتدمير والحيف والضيم والاذلال والابادة والاستئصال وذلك انَّ المسيحيَّة اخلت نفسها ونفضت يدها من مسألة المعاملات الدوليَّة والواجبات الانسانيَّة المتبادلة بين شعب وآخر وبذلك تركت ارباحها واتباعها يمشون مجاهل الضلال في اسود (كذا) دياجير الجهل والغباوة »

هذا واسطرٌ عديدة مثلها يضيق المقام عن ذكرها كلِّها والحقيقة على طرفي نقيض . ولو اردنا تفنيدها لاقتضى مجلَّدات واسفار قد صنَّفها والشكر لله غيرنا

من ارباب المعارف التاريخيَّة وانَّا نجتزي بذكر خلاصتها ذودا عن حقوق الدين المستقيم

رأت الكنيسة الكاثوليكية انه ليس بامكان البشر ان يقطعوا دابر الحروب ويؤلفوا قلوب جميع الامم بالأمن والسلم لكنها سعت على طاقة امكانها باطفاء جمراتها وتقليل انتشارها وحصر اضرارها بقوانين منظَّمة . وقد استنفدت الوسائل في تحقيق غايتها وتوخَّت ما استطاعت بواعث النجاح . وبياناً لذلك رأينا ان نستصبح بنور التاريخ ونثبت للقرَّاء فضل الكنيسة الكاثوليكية في مناهضة شرور الحروب وتخفيف ويلاتها وياوح ذلك : اوَّلاً بتعريف روح الكنيسة ومبدأها الاساسي . ثانياً بذكر مؤسَّساتها . ثالثاً بوصف مجلسها التحكيمي

١ روح الكنيسة ومبدأها الاساسي

ليست الكنيسة كما هو معلوم الَّا المشروع الاجتماعيّ العظيم والنظام الدينيّ الجليل الذي انشأهُ السيِّد المسيح لينشر في العمور بعد صعودهِ روحهُ وتعاليمهُ المقدَّسة التي ضمَّنها في انجيلهِ الطاهر . وقد بيَّنا في مقالتنا السابقة « الانجيل والسلام العامّ » انَّ روح المسيح هو روح السلام وانَّ تعاليمهُ عائدةٌ الى تقرير السلام بين الافراد كما بين الشعوب

١ فانهُ تجدُ اسسهُ اذ كان على الارض وضع اساس الهيئة الاجتماعيَّة الجديدة حيث كرَّر على تلاميذهِ انهم اخوة (متَّى ٢٣ : ٨) وانَّ لله كما لقيصر حقوقاً يجب وفاؤها (لوقا ٢٠ : ٢٥) وانَّ صاحب السلطة بينهم ينبغي عليهِ ان يعتبر نفسهُ كخادم الكلّ (لوقا ٩ : ٤٨)

ثمَّ قرَّر تلاميذهُ هذه التعاليم من بعدهِ واعلنوا بانَّ كلّ سلطة تأتي من الله (رومية ١٣ : ١) فيجب الخضوع لها ما لم تناهض حقوق الله فتُفضَّل طاعة الله على امر البشر (اعمال ٤ : ١٩—٢٠) وانَّ لكلّ واحدٍ دعوتهُ لا بُدَّ ان يستقرَّ عليها سواء كان حرًّا او عبدًا (١ كور ٧ : ٢٠) وانهُ لم يَعُدْ يبقى بينهم يهوديّ ولا يونانيّ لا عبد ولا حرّ ولا ذكر ولا انثى بل جميعهم واحد في المسيح (غلاطية ٣ : ٢٨) ومع هذا انَّ لكلّ منهم الافراد كما الجموع واجباتٍ وحقوقاً يتحتَّم عليهم

مراعاتها (١ للوالدين كما للاولاد للرجال كما للمرأة للعبد كما للسيد لأنَّ الظالم سينال ما ظلم به (كولوسي ٣ : ١٨ — ٢٢) وآيات اخرى كثيرة تبيّن باجلى بيان ان السيد المسيح ورسلهُ وضعوا اساس الحقوق الفرديّة والدولية كلها وانهم كانوا اعظم انصار السلام مع جميع الناس حتى الاعداء. قال الاناء المصطفى بولس الرسول (رومية ١٢ : ١٨—٢١) : ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون لا تنتقموا لانفسكم ... فان جاع عدوك فاطعمهُ وان عطش فاسقهِ ... لا تتغلب للشرّ بل اغلب الشرّ بالخير . وقال في رسالتهِ الى العبرانيين (١٢ : ١٤) : اقتفوا السلام مع الجميع

فهل يقدر سيد امير علي ان يأتي بآيات واضحة مثل هذه . فانَّ ما ذكرهُ في البيان (ص ١٧٨) لتأييد رأيهِ قد سبقت اليهِ اسفارنا المقدسة مئين من السنين قبلهُ لاسيَّما الحديث « صِلْ مَن قطعك واحسن الى من اساء اليك » فقد بيَّن المشرق (ص ٢٧٣—٢٧٤) انهُ منقول عن الانجيل بحرفهِ

٢ وان انتقلنا بعد هذا الى تاريخ الكنيسة واعتبرنا موقفها بازاء الدول وجدنا انها سعت طاقة جهدها في بثّ روح السلام . واوَّل ما صنعتهُ مدَّة الثلثة القرون الاولى حيث قام عليها العالم الروماني وعَبَدة الاصنام في كلّ اقطار الدنيا انَّها ابتدأت باصلاح اساس الدول اعني العائلة فانَّها ردَّتها الى كرامتها الاولى فمكَّنت روابط الزواج ونفت الاكثار من النساء ومنعت الطلاق وخفَّفت سلطة الرجل المطلقة على زوجتهِ واولادهِ وعزَّزت مقام المرأة كما يشهد لذلك اعداء الكنيسة فضلًا عن ابنائها

ولمَّا خرجت من الديامس واصابت الحرّيَّة بانتصار قسطنطين اخذت منذ ذاك تناهض شرائع الامم الوثنيَّة مباشرةً بشرائع الرومان . فانَّ من يمعن النظر في السُّنَن التي سنَّها قسطنطين الكبير ثمَّ ثاودوسيوس الكبير ثمَّ والنتنيان وغيرهم تحقَّق كم تحسَّنت شرائع الوثنيَّة في امور متعدّدة في النظام الاهليّ والنظام العمومي والنظام الدوليّ وفي تحرير العبيد وابطال عادات همجيَّة كالمصارعات الدمويَّة في المسارح العموميَّة اذ كانوا يعرضون الوفاً مؤلَّفة من المصارعين او من العبيد او الاسرى

١) راجع مقالات المشرق (١١ [١٩٠٨] ٧٨٨ و٨٦٣ و٩٢٢) : في الحربيَّة والمساواة والاخاء ثم (١٢ [١٩٠٩] : ١٤٤ و٢٠٥) في التمدُّن والتساهل

ليتجالدوا بالسيوف فيقتل بعضهم بعضاً او يصارعوا الوحوش الضارية بل رُبَّما عرضوا جماهير المسيحيين لمخالبها دون مصارعة والحضور على مقاعدهم يشجعون ابصارهم بدماء الصرعى. فلم تبطل هذه العادات البربريَّة الَّا بفضل احد ابناء الكنيسة القديس تلماك اذ نزل في مرسح القتال ليفصل بين المتصارعين فذهب ضحيَّة حبِّه للسلام وأُبطلت من بعده تلك المصارعات الوحشيَّة

٣ ولمَّا ذهب العالم الرومانيّ غارقاً بتيَّار الامم المعروفة بالبرابرة التي اقتحمت ذلك الجبَّار العاتي واستولت على ممالكه لم يتصدَّ لها غير ارباب الكنيسة فقاموا في وجه ملوكها وكفُّوا عن الشعوب كثيراً من شرورها كالحبر الروماني لاون الكبير في رومية وبندكتوس في ايطالية ولوبوس ورامبجيوس وجنوفيفا في فرنسة

ولم تكتفِ الكنيسة بوضع الحدود لأذاهم بل باشرت بتبشيرهم وتمدينهم فارسلت رُسُلها اليهم في كلّ اطراف اوربة وآسية وافريقية فباشروا بذاك المعترك العجيب حيث انتصر الضعيف من القوي والأعزل من الشاكّ بالسلاح والشهيد من مغتصبه وقاتله فظهر نور الحقّ بين تلك الظلمات الكثيفة وقعلت وردةُ السلام ما لم يفعلهُ حدُّ الحسام. ولم يمرّ على كنيسة المسيح اربعة او خمسة قرون حتَّى اضحت تلك الامم البربريَّة امماً جديدة ساد في كثير منها روح العدل بل ظهر بين ملوكها رجال فضل وبرّ تردّد الشعوب حتَّى اليوم اسماءهم بكلّ وقار وكلّ شكر ونُظمت اسماء بعضهم في سلك القديسين

٤ ومما يوقفنا بجلاء على روح الكنيسة ونزوعها الى السلام ما رتَّبته بشأن خدمة الدين حيث قضت ان كلّ من سفك دماً بمجابهة آمراً او مُنفِذاً يُمنَع منعاً مطلقاً عن قبول الدرجات الكهنوتيَّة ليكون ارباب الدين ملائكة سلام ولا تحمل يدٌ سفكت الدماء إلهَ السلام

٥ واذا ما اعتبرنا صلوات الكنيسة في رُتَبها اليوميَّة وقلَّبنا صفحات كتبها الطقسيَّة وجدناها مفعمةً بالابتهالات الى الله لنيل الصلح والسلام وليس هناك كلمة واحدة تشعر برغبتها في محاربة ايّ كان من البشر. واذا ما رفعت الى الله الادعية لطلب النصر لابنائها وللشكر عن الانتصار النهائي فما ذلك الَّا اعتصاماً بقوَّة الله لدفع الاذى وشكراً له على نعمه وهو ربُّ الجنود يهبُ النصر من يشاء

٦ وكم سعت الكنيسة في بثّ روح اللين والسلام في نفوس الملوك والوزراء والمشترعين فصرفت اذهانهم من سفك الدماء الى ترقية شعوبهم المادّيّة والادبيّة تشهد عليهِ المجلّدات الضخمة من اعمال الباباوات وبراءاتهم الرسوليّة ورسائلهم الى الملوك . وان ورد شيء من ذلك لمحاربة اعداء الدين فانّما هو دفعاً لضررهم وحسماً لشرّهم وتمهيداً للحصول على السلام . ومثلهُ قل عن جملةٍ من الاساقفة والكهنة الذين اختصّهم الملوك لمشورتهم وأسندوا اليهم امورهم فانّهم منعوا حروباً كثيرة بتوسّطهم وحسن آرائهم

ويقرّ اليوم ارباب العلم وشيوخ السياسة انّ القوانين الدوليّة المعوّل عليها بين الامم المتمدّنة بخصوص الحرب وحقوق المتحاربين انّما هي خلاصة القوانين الكنسيّة التي سبق الاحبار الرومانيّون ورؤساء الدين الكاثوليكيّ فسنّوها في مجامعهم وتقاريرهم الرسميّة فنالوا بذلك شكر الامم جمعاء . فليذكر سيد مير علي شيئاً من ذلك في كلّ تاريخ الدول الاسلاميّة فأنّنا نؤكد لهُ انهُ لن يجدهُ بل يجد خلافهُ ونحن مستعدّون ان نثبته لهُ بالشواهد المتعدّدة

والدليل على انهُ ينقل ما نقل عن مصادر لا يوثق بها ذكرهُ لجروشياس (هكذا صحّف اسم غراسيانس الراهب الشهير) وقولهُ عنهُ انهُ مؤسس القانون الدولي في اوربّة (ص ١٧٧) وهو منظمهُ فقط . امّا نسبتهُ الى السيّد المسيح قولاً منافياً لتعليمهِ وهو «اوغرهم (يريد الشعوب) على الدخول في الدين » فانّما هو افتراء محض

٢ منشآت الكنيسة لتخفيف وطأة الحرب

انّ روح السلم والوداعة الذي ورثتهُ الكنيسة من منشئها الالهي لم تعلن بهِ فقط بموقفها امام تيّار الحروب وارشادها الامم الى الدعة والسكينة والوئام بل انشأت المشاريع المتعدّدة لتخفيف وطأة الحروب وحصر اضرارها في منطقة ضيّقة

١ (حق الحماية) واوّل ما وضعتهُ الكنيسة بعد فوزها بالحرّيّة لحقن دماء العباد الحمى اي التجاء الخائفين على حياتهم الى الاماكن المقدّسة كالكنائس والاديرة والمستشفيات والمعاهد التي يخفق فوقها علم الصليب المقدّس فاذا دخل الخائف في حدودها اضحى آمناً من اعدائهِ . فكم نجا بذلك من ضعيف لهيف وكم أمن من

طريد شريد. وكم بطلت من طائلة غضب او انتقام! وقد صادق الملوك على هذا الحقّ واعترفوا به مدّة كلّ الاجيال المتوسطة ولعلّ ما شاع من ذلك بين العرب واهل البادية كما رواهُ حضرة الاب بولس سلمان قدعاهُ حقّ الطنيب ليس هو غير صدًى ممّا ورثوهُ من قبائل النصارى القدماء الذين كانوا سابقاً في جزيرة العرب

٢ (صلح الله) او سلام الله (Paix de Dieu): هو ايضاً من مشاريع الكنيسة انشأتهُ لتصون من بلايا الحرب اماكنَ واشخاصاً عديدين في زمن الحرب. فالاماكن كالكنائس والاديرة والمقابر وما يقع في جوارها ما لم تكن محصّنة. اما الاشخاص فمن يتعاطون الفلاحة والصناعة والتجارة وما يتّصل بنظرهم كالطاحن والمواشي وما اشبه. وبموجب صلح الله كان يتحتّم على المحاربين ان لا يوقعوا اذًى بالمسافرين والاولاد والنساء ومن يسير في رفقتهنّ. وقد انزل مجمع بلنسية من اعمال اسبانية سنة ١١٢٩ اشدّ العقوبات بمن يتجاسر فيبيح ذمار مَن سبق ذكرهم. وقد اوقع مجمع كارمون المنعقد في فرنسة سنة ١١٣٠ الحرم الكنسيّ بمن يلقي في اثناء الحروب حريقاً في البيوت والحقول والبساتين والمدن والقرى. ونُودي بهذه القوانين في بقيّة البلاد فصارت مرعيّةً في اطراف النصرانيّة. وأقيمت فرقٌ من جنود الدول لمعاقبة من يخالف تلك المراسيم

٣ (هدنة الله: Trêve de Dieu) هي مشروع ثالث لكسر شوكة المتحاربين توخّت الكنيسة امرهُ لمنع القتال في بعض الازمنة والمواسم الجليلة كايّام الصوم الكبير واعياد السيّد المسيح ومريم العذراء وبعض القديسين بل حصرت المحاربة في كلّ اسبوع في ثلثة ايّام فقط من الاثنين الى الاربعاء. وكان الاحبار الرومانيّون يشدّدون على حفظ هذه القوانين واتّفقوا مع الملوك على معاقبة من يثلمها بعد قطعهم من شركة المؤمنين بالحرم والتاديبات الكنسيّة ثمّ امتدّت بمساعيهم الى كلّ الدول النصرانيّة. وكان الاساقفة والكهنة يتلون على مسامع الشعب شروط الهدنة ثمّ يدعون غضب الله على من يتجاوزها فيرمون على الارض شموعهم المشعلة صارخين: اطفأ الله السرورَ من قلب كلّ من لا يذعن لشروط السلام (١)

(١) جاء في المقتطف (مجلد ٦٣ : ٦٤) ما حرفه «وكان نفوذ الكنيسة في ذلك الزمان عظيماً جدًّا فبذلته في توفيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنّت شريعةً سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمّتها «هدنة الله» في الارض»

ومن عناية الكنيسة ايضاً في تلطيف ويلات الحرب انها منعت في مجامعها اتخاذ الاسلحة التي تلحق الاذى بالبعيد كالسهام والاقواس وما شاكلها لئلا تصيب يدينا مسالماً ولأنها معدودة كأسلحة الجبان الذي يخاف القتال عن كثب. ووردت في ذلك قوانين المجمع المسكوني اللاتراني الثاني سنة ١١٣٩ الذي حظر المحاربة بهذه الاسلحة العمياء التي قال عنها انها خاصة المسلمين دون النصارى (١

وما قولنا الآن عن المشروعات المتعددة التي يقوم بها الاكليروس والرهبان لمساعدة جرحى الحرب في ساحات القتال وخارجاً عنه دون اختلاف بين صديق او عدو وقد شكرت تركيّة في حرب القريم اعمال راهبات المحبة مع جنودها واقرت بمبادئهن الشريفة . ولنا في الحرب الاخيرة من ذلك شواهد حيّة كالصليب الاحمر وغيره كلها تنطق بفضل الكنيسة

٣ المجلس التحكيمي في الكنيسة

انّ قيام الكنيسة مقام الحكم الفاصل بين الملوك والامراء عند تباين اهوائهم وتفرّق كلمتهم قد اوقف انتشاب حروب جمّة بعد ان اوشكت ان تستعر ضراماً. وكثيراً ما انتدبوا لذلك رؤساء الكنيسة عموماً واحبارها الاعظمين خصوصاً

ولا يخفى انّ سلطة البابا الروحيّة تتناول كلّ اقطار المعمور فكانت الملوك في الاجيال المتوسطة تنقاد لأحكامه حتّى في الشؤون العالميّة وتركن الى طاعته الشعوب نظراً لما عُرف فيه من الاستقامة وصفاء السريرة واعتدال المشرب وكثرة الخبرة وسعة المدارك الى حزم اسمى من ان يأخذ بالوجوه وهو نائب المسيح. وابو جميع المؤمنين يُنزلهم جميعاً منزلة الابناء.

فهذا ما جعل الملوك والامراء يرجعون اليه فاقاموه الحكم المطاع والمرشد النصوح فيما اعتراهم من وجوه الخلاف فاستناروا برأيه ووقفوا عند حكمه فأمنوا بواسطته انتشاب الحروب وكفّوا عن سفك الدماء. والشواهد التاريخيّة على ذلك اكثر من ان تُحصى

وقد ظهر الامر خصوصاً في الاجيال المتوسطة اذ رأى الاحبار الرومانيّون تطاول

(١) اطلب (Revue Archéolog. 1916, p. 295—302)

بعض الملوك على رعاياهم وظلمهم لشعوبهم فتصدّوا لهم ودافعوا عن المظلومين لا يرهبون من سطوة اولئك الطغاة . كما شاع عن هنريكوس الرابع امبراطور المانية الذي كان اضرم في اوربة حرباً عواناً أخذت بربوعها ضروب الآفات فوقف في وجهه شيخ رومية رادعاً ولم يزل يقارعهُ حتّى اضطرّهُ الى الخضوع بما انزل بهِ من العقوبات الكنسيّة

ولمّا قامت تلك الشيع الهمجية شيع الألبيجيين وقلبوا البلاد بغاراتهم ظهراً لبطن كان الاحبار الرومانيّون في طريقهم كالسدّ المنيع الذي اوقف سيلهم الجحاف

وما قولنا بأحكام البابوات بازاء مطامع الملك فيليب اوغسط في فرنسة وريشرد قلب الاسد وجان صَنتير في انكلترا . فاولا ما قضى بهِ رؤساء الكنيسة في مجلسهم التحكيميّ لأنقذت بلادهم سعيرًا وعنّتها البلايا

وكلّ يعلم النزاع الذي استحكم بين دولتي اسبانية والبرتغال لدن اختلافهما على اقتسام الاراضي الشاسعة التي اكتشفوها في العالم الجديد رجال من كلتا الدولتين فعُرض وجه الخلاف الى مجلس البابا اسكندر السادس الذي نظر فيهِ بكل حكمة ورسم خطًّا على خارطة اميركا كان الحدّ الفاصل بين اراضي الدولتين فاذعن كلّ من الفريقين لهذا الحكم خانعاً ولولاهُ لاصطبغ العالمان الجديد والقديم بدماء المتحاربين

ولم تخلُ الازمنة المتأخرة من حوادث خطيرة اضطرّت الملوك في أثنائها الى ان يرجعوا الى الاحبار الرومانيين في حلّ ما تعقّد بينهم من المشاكل ممّا كان لولا توسطهم قد اثار حروباً طاحنة

منها الخلاف الشهير الذي استحكم بين المانية واسبانية بشأن أحقيّة الاستيلاء على جزائر الكارولين . فاجتمع رأي الدولتين على تحكيم البابا لاون الثالث عشر ليحلّ عقد الاشكال لما قام في يقينهما من حصافة رأيه ونزاهة نفسهِ . وقد حقّق البابا آمالها اذ اصاب بسهام رأيه كبد المشكل واصدر حكماً وقف المتخاصمون عنده راضين شاكرين

ومثلهم فعلت دولتا البيرو والشيلي لدن حكّموا البابا لاون ثمّ البابا بيوس العاشر في تعيين الحدود بين املاك الدولتين ثم في حسم خلاف شديد حدث بينهما

هذا قليل من كثير ممّا سطّرهُ التاريخ من مساعي الكنيسة في سبيل السلام .

ولولا شطط بعض الملوك كفيليب لوبال ثم فتن الشيع البروتستانية في القرن السادس عشر وعصيانها على رؤساء الدين لتوفرت على العالم المتمدن شرور لا تحصى

فقل لي ناشدتك الله أما كان العالم نجا من كل اهوال الحرب العمومية الاخيرة لو كانت النسمة والسرب رفعتا الى البكرسي الرسولي امر الخلاف الذي اثار تلك الحرب واذاق البشر الامرين ولا تزال عقابيلها تفتك بنا الفتك الذريع . فلا جرم ان ذلك التحكيم السلمي كان اعاد للعالم سلامه وانتزع الضغائن من القلوب وساعد على ترقية الامم الى معارج الامن والفلاح

لعمر الحق قد اضمحل اليوم الوهم الذي كان سائدا على العالم من ان العلم والتهذيب والمدنية من شأنها ان تلطف العوائد وتهذب الطبائع والاخلاق الى ان تزيل اسباب الخلاف . فان وقائع السنين الاخيرة اظهرت ان كل رقي العلوم الحديثة لم يكن الا اداة هائلة جعلت الحرب بربرية همجية وساعدتها على التفنن في التخريب والتدمير وعليه لا يخلص البشرية من الحروب الا الدين

وان اعترض علينا احد بقوله ان رؤساء الكنيسة نفسهم باشروا الحروب ودفعوا اليها الملوك وامدوهم بالقوات والذخائر لاسيما الحروب الصليبية . اجبنا اولا ان الاحبار الرومانيين لم يدخلوا قط في حرب هجومية رغبة في توسيع املاكهم او مساعدة لغيرهم في ذلك . ثانياً معلوم انه كانت للباباوات املاك اوقفها على الكنيسة الملوك والامراء من تلقاء نفسهم فتركبت منها دولة كان يتحتم على الحبر الروماني المدافعة عنها بالقوة اذا اغتصبها ظالم وليس من احد يأخذ على ائمة الكنيسة فعلهم هذا او يلومهم في حفظ تلك الوديعة وهم المؤتمنون عليها . ثالثاً ان الحروب الصليبية عينها انما كانت دفاعية واحتياطية اكثر منها هجومية . فان الدول الاسلامية باتساع نطاقها كانت تتهدد الممالك النصرانية حتى اصبحت على قاب قوسين من حواضرها . ثم ان الحروب الصليبية كانت غايتها نجاة الاماكن المقدسة من ايدي مغتصبيها ومنتهكي حرمتها فان الحاكم بامر الله وحده كان اخرب ثلاثين الفاً من الكنائس النصرانية بعد ان دمر كنيسة القيامة في القدس الشريف أفما كان هذا سبباً كافياً لمحاربة الدولة الفاطمية المتولية على الاراضي المقدسة فمن يلوم الكنيسة على سعيها في الذود عن حياض دينها . وقل مثل ذلك عما صنعته لترد عن اوربة

تيار الدولة التركية التي يقبح مظالمها اليوم المسلمون فضلاً عن النصارى (١) . رابعاً وهيهات ان نسلم بنسبة ما اتى به بعض ملوك النصارى ظلماً كمذبحة القديس برتلماوس وبعض اعمال ديوان التفتيش في اسبانية الى ارباب الكنيسة وهم براء منها . ولم تكتف الكنيسة بعدم اقرارهم على هذه الاعمال بل كانت اول من يؤاخذهم عليها ويشدد عليهم النكير في اتيانها حتى ولو كانوا من اعز اولادها كشرلمان العظيم والكنت دي منفور فان الاحبار الرومانيين بكتوهما على افراطهما بمحاربة اعدائهما واعداء الدين

ويسوغ لنا ان نختم هذه المقالة بما كتبهُ جابرت احد مشاهير الكتبة العصريين مزكياً الكنيسة عن هذه التهم بقوله :

بعد ان اقرت الكنيسة ما لديها من وسائل الاقناع لكف الايادي الظالمة دون ان يجديها القول نفعاً قامت — وهي لم تقبل الا مكرهة — تطلب من القوة ان تقدم الحق وتناضل بالسيف عن حوزته فتدفع عن اهتضامه اقواماً لا يبرقون رأياً الا السيف ولا يحترمون الا عهد القوة . فهذا امرٌ لا غبار عليه وهي بغنى عن طلب الصفح والتنصل . حسبها ان كل من يشفي بنور العقل يعتبر اعمالها في هذا السبيل خدمة جلى للانسانية فيحضها على الثناء الطيب والشكر الجزيل

حول جزيرة العرب .

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي تابع

مكة وشرفاؤها

بعد ابحاثنا السابقة عن اليمن لا بدَّ ايضاً ان نخص بنظرة اجمالية امارة شرفاء مكة كلٌ يعرف مقام مكة والمدينة في اعين الاسلام فالأولى مركز دينهم وقبلة

(١) للكاتب الفرنسوي الشهير شاتوبريان كلام مأثور في ذلك قال : « ان الذين قد اقاموا الملوك من سباتهم وجمعوا الشمل ووحدوا الكلمة وابرموا المعاهدات دفاعاً عن البلاد الغربية لكي لا تقع فريسة الاتراك انما هم البابوات ولو لم يكن للكنيسة من الاعمال الخطيرة في جانب الانسانية غير هذا لكفى . فهذه النعمة السابقة تجعلها اهلاً لأن تُقام لها المذابح شكراً واكراماً »

صلاتهم ومحطّ حجيجهم والثانية منزل نبيّهم بعد هجرته ومدفنه بعد موته . ويطلق على كلتيهما اسم الحرمين وهما حاضرتا الحجاز وفرضتها على البحر الاحمر جدة والينبع

لم يكن لمكة في اول الاسلام امارة خاصة وانما كان الحكم فيها لعمال يرسلهم اليها الخلفاء الامويون ثمّ العباسيون . بيد انه كان فيها بيوتات ينتمي اصحابها الى ذرّية محمد عُرفوا بالشرفاء والسادة كان الناس يعظمونهم لكرم محتدهم

فلمّا كان القرن الحادي عشر للميلاد وقد تضعضعت امور الخلافة في بغداد وتملّك الفاطميّون في مصر قامت اسرةٌ من العلويين وادّعت السيادة على اهل مكة ولم يألُ اصحابها جهدهم في توطيد نفوذهم فيها فأتى الفوز حليف إقدامهم وبقوا في منصبهم الى اواخر الدولة الفاطميّة فسقطوا بسقوطها

ثمّ صارت بعدهم الامارة الى اسرة شريفة يتّصل نسلها بالشريف قتادة الذي تولى الامارة على مكّة في اواخر القرن السادس الهجرة والثالث عشر للمسيح ويرقون اصلهم الى الامام حسن بن عليّ بن ابي طالب . واخبارهم طويلة لا يسعنا ذكرها . واكثر ما يرويه كتبة المسلمين كالفاسيّ والفاكهيّ والنهروالي والسهروَردي عنها نزاعات ومخاصمات وحروب يطول وصفها انتشبت بين اصحابها طمعاً في السيادة وحرصاً على جمع المال من الحجيج بضروب العنف

على انّ امارة الشرفاء على الحرمين لم تكن غالباً الا سطحيّة يضطرّون الى الخضوع للدولة الظافرة شاؤوا ام أبوا ويخطبون باسم صاحبها لاسيما ممالك مصر من القرن الثالث عشر الى السادس عشر فاذا احسّوا منهم بضعف استبدوا بالامر وبسطوا سلطتهم على انحاء الحجاز

ولم يكن للشرفاء جيش يخدمهم وانّما كانوا يجندون خدمهم ومماليكهم وبعض اهل البادية لقضاء امورهم على انّ عشائر العرب كثيراً ما كانت تتعرّض للحجّاج في طريقهم ريثما يأخذ شيوخها نصيبهم من مالهم او يرضيهم الشرفاء ببالغ يؤدونها لهم او ألطاف يهدونها اياهم

ولمّا دخلت الحجاز في عهدة ملوك آل عثمان بعد فتح سليم خان الاوّل أثبت السلطان في الامارة على مكّة الشريف جمال الدين محمّد ابا النتيّ من اسرة قتادة السابق ذكرها

سنة ١٥٣٢ه (١٥٢٥م) وتوفّي بها بخانقة ديار ذهب في السنة . وخلفه في الامارة اولاده (١) ويُعرف بيت هؤلاء الامراء بذوي زيد توارثوها ابًا عن جدّ الى ايّام الوهابيين فمحى اولوا الامر مذهبهم في ايّام الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفّى سنة ١١٦٥ه (١٧٥١م) فزيّنوا تقاليدهم وامر مجلس بعض علمائهم . ثمّ جاءت امر الوهابيين كما سبق في عهد امير هم ابن سعود وكرّروا الحملات على الحجاز حتّى دخلوا مكّة واستولوا على المدينة سنة ١٢٢٠ه (١٨٠٥م) وامروا في الحرمين سبع سنين وكان ذلك في ايّام الشريف غالب بن مساعد بن سعيد

وفي السنة ١٨١٢ كانت الحملة المصريّة فتوفّق محمّد علي الى تحرير الحجاز فردّ امرهُ الى اصحابه لكنّهُ رأى في الشريف غالب بعض الضعف والموالاة للوهابيين فعزلهُ واقام مكانهُ الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن اخي غالب ونفى غالب الى سالونيك وهناك مات سنة ١٨١٦

وكان يحيى كاحد عمّال الدولة ليس لهُ من الامارة غير الاسم . وفي السنة ١٨٣١ عزلهُ محمّد علي بابنهِ المقتول في الكعبة احد انسبائهِ وقلّد امارة مكّة رجلًا من الاشراف اسمهُ محمّد بن عون لم يكن من بيت امرائها فصارت من بعدهِ الامارة تتراوح بين البيتين لبيت ذوي زيد حينًا ولبيت ذوي عون حينًا آخر

وطال ايّام ابن عون ثلاثة عشر سنة ومات في ٢٨ آذار ١٨٥٨ وقد تقلّبت عليهِ الاحوال فنُفي مرّتين المرّة الاولى بامر محمّد علي باشا نُفي الى القاهرة (١٨٣٦—١٨٤٠) والمرّة الثانية بامر السلطان عبد العزيز الى الاستانة (١٨٥٣—١٨٥٦) وحدث في تلك الاثناء في الحجاز مشاغبات واضطرابات كان سببها غارة عبد المطّلب بن غالب الاوّل يحترق الامارة الموروثة من اجدادهِ الى ان فاز بها مدّة ثلاث سنين وتوفّي سنة ١٨٥٦ . وناهيك قبائل العرب تثور على الاتراك لامتناع العثمانيين عن الحاد واتباع شيوخهم وحقوق مخالفتهم لآل عثمان

وكان الدولة كالعادة يلجأ الى تقسيم الكلمة واضعاف العناصر المخالفة

(١) تولّى الشريف احمد بعد ثلاثة امراء وهم الشريف حسين وهو جدّ الشريف حسين امير مكّة الحالي . ملك الحجاز ثمّ الشريف بركات وهو جدّ الاسرة المعروفة بالبركاتيّة . ثمّ الشريف احمد الذي ذهب الامراء الاوّل الآتون الى ابنهِ مندبل بن احمد بن ابي نمي

لأحكامها فكانت تعضد حيناً ابن عون وحيناً عبد المطلب على مقتضى الاحوال وكذا كان فعلها مع قبائل العرب في الحجاز .

وعيّنت الدولة بعد وفاة ابن عون ابنهُ عبدالله ليخلفهُ في امارة مكّة . وكان عبدالله سكن زمناً طويلاً في الاستانة وصار احد اعضاء الشورى فيها . فاثار انتخابهُ حقد بيت ذوي زيد وحزبهم وحدثت من جرّاء ذلك فتن في الحجاز لحق قسم من ولاياتها الاجانبَ في جدّة فنهبت مخازن الانكليز والفرنسويين وقُتل قنصلاهم ومنع الحجيج عن زيارة الحرمين . وفي السنة ١٨٦١ قام العربان في الحجاز على الدولة وتمادوا في غيّهم الى السنة ١٨٦٤ وبطل الحجّ وقطعت الطرقات ولم تهدأ الامور الّا بعد ان دفعت الحكومة لشيوخ القبائل ٢٥٠،٠٠٠ فرنك كانت تأخرت عن دفعها لهم

وبقي الشريف عبدالله بن محمّد بن عون في منصبهِ حتّى السنة ١٨٨٢ وفيها عُزل . قيل انهُ احسن السياسة في العرب ونفذت كلمتهُ بينهم

ثمّ عهدت الدولة امارة مكّة بعد الشريف عبدالله الى عون الرفيق باشا من ذوي عون فتولى من السنة ١٨٨٢ الى ١٩٠٥ وكان ابيّ الطباع شديد الشكيمة لا يستطيع احد مخالفتهُ وقد قام في وجه ولاة الاتراك فقُضي عليهم ان ينقادوا لاوامره . ولمّا تولّى احمد راتب باشا سنة ١٨٩٢ اتفق كلاهما وجريا كفرسي رهان في ظلم الرعايا واستئصال اموالهم واقتسام الارباح بينهما الى ان توفّي الشريف عون سنة ١٩٠٥ فخلفهُ في الامارة اخوهُ عبدالله لكنّهُ مات بغتة قبل ان يباشر بهمّات وظيفتهِ فأُسند منصب الامارة الى الشريف عليّ حيدر ابن اخي عون فدام حكمهُ ثلاث سنوات فلمّا أُعلن بالدستور سنة ١٩٠٨ انقلب من رتبتهِ مع راتب باشا الحاكم التركي في مكّة . وحكم الدستوريون على راتب باشا بدفع مبالغ ممّا اغتصبهُ من مال الاهلين . امّا الشريف عليّ حيدر فانهُ رحل الى مصر وبقي هناك

وقد عيّنت جمعيّة الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) لامارة مكّة الشريف حسين بن عليّ وهو الذي يعرف اليوم بملك الحجاز . خدم قبل الحرب الدولة التركيّة ولمّا حاصر الادريسيّ مع قبائل العرب في العسير حاميةَ الاتراك في أبها جمع الامير حسين سنة ١٣٢٩هـ خدمهُ ومماليكهُ وبعض المتطوّعين من اهل البادية وسار بصحبةِ جنود الدولة فأفرج عنهم كما سبق فعظمت بذلك منزلتهُ في اعين مواطنيهِ

وفي ايام الحرب الاخيرة عدل الشريف حسين عن تركيته الى الدول الائتلافية سنة ١٩١٦ فزحف مع فرقة من العرب على مكة . وفاجأ فيها الاتراك ودخلها في حزيران ثم استولى على جدة وفتح الطائف بمساعدة الجيوش المصرية في ٢٢ ايلول منها . اما المدينة فدافع عنها الجيوش العثمانية بشهامة ولم يسلمها الفريق فخر الدين الا بعد الهدنة في ١٠ ك ٢ سنة ١٩١٩

ولما دخل الشريف حسين الى مكة اقرت له الدول الاتحادية بسلطنة الحجاز . اما الاتراك فانهم دعوا علياً حيدراً وقلدوه امارة مكة ليناصب الشريف حسيناً لكنه بقي في الشام بجوار جمال باشا والعثمانيين ينتظر انتصارهم لينال ما وعد به من الامارة فخابت آماله ولم يزل الشريف حسين قابضاً على ازمة الامر معززاً مكرماً تعضده الدول الاتفاقية ولاسيما بريطانية العظمى

ولما دُحرت الجنود العثمانية وخرجت جزيرة العرب وبلاد الشام من حكم السلاطين بني عثمان نودي بالامير حسين ملكاً على الحجاز وعزّ مقام شريف مكة . وقد افاض السيد محمد رشيد رض في صفاته وشمائله في مجلة المنار (السنة العشرون ٣٥٥ — ٣٥٨) . ومما لا ينكر انه حاول توطيد ملكه وتوسيع نطاق دولته . ولعلّ ما نالهُ من الرفعة والشرف حمل به الى ان يمدّ سلطانهُ الى ما وراء الحجاز فاوقفهُ اصحاب تلك الاصقاع عند حدهِ لاسيما الامير ابن السعود(١ . وجلالة الملك حسين اولاد ذوو مقام رفيع وسجايا ممدوحة يقيمون الآن في جوارنا وهم الامراء فيصل وعبدالله وعليّ وزيد يسعون بتأليف مملكة عربية من سوريا وفلسطين والعراق والله اعلم بمصير الامور وهو يولي الملك من يشاء .

حجة نباه عن ابن الرشيد — طيّر البرق من لندن في تاريخ ٨ ايار الماضي انّ الامير سعود بن الرشيد امير حايل (راجع ما قلنا عنهُ في الصفحة ٢٨٧) قُتل في العشر الثالث من نيسان لاسباب عائلية وانّ القاتلة هم من عبيده وقد نُصب الامير عبدالله بن متعب اميراً مكانهُ وهو ابن جارية وعمرهُ ١٩ سنة وكان ابن رشيد حليفاً للاتراك في اثناء الحرب العمومية الاخيرة

---

١) جاء في الديلي تلغراف في تاريخ ١٩ آذار الاخير انّ فرقة من الوهابيين هاجمت رعايا الحجاز على مسافة عشرين ميلاً جنوبي شرقي الطائف فقتلوا عدداً وافراً من اهلها من قرى الملك حسين واحتلّوا تلك الانحاء الى ان ارسل الملك حسين جنداً فهزموهم بعد ان احرق الدور ضيعتين واخذوا اغنام الطائفة

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

في التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليّة

ان ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهلية يصح في آثارهم التاريخيّة فانها قليلة جدا كأن العرب ظلّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقيّة الشعوب المسيحيّة لم يعرفوا منها شيئاً . وليس الامر كذلك كما سترى وانما سبب ندرة هذه الآثار انّ اهل الجاهليّة لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلّة انتشار علم الخطّ بينهم فصحّ فيهم قول المثل « كلُّ علم ليس في القرطاس ضاع »

ويُضاف الى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلّة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهليّة في القرن الثاني للهجرة . فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم ان يرووا ما يسمعونه من عرب الحضر والمدر من الشعر الجاهليّ والمفردات اللغويّة والامثال والحكم وما اشبه ذلك . امّا ما عرفهُ اجدادهم من تاريخ النصرانيّة فلم يعيروهُ بالًا

على اننّا لو نقّبنا في الامر ودقّقنا النظر في تلك المرويّات السالمة من طوفان الحروب الاسلاميّة لوجدنا انّ عرب الجاهليّة عرفوا اشياء كثيرة من تاريخ النصرانيّة واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ واوّل دليل الى قولنا معرفتهم بالاسفار المقدّسة من العهد القديم ليست الاوّليّة فقط الشائعة عند اليهود بل الثانويّة ايضاً التي وردت في النسخة السبعينيّة

وكان النصارى يعتبرونها كمنزلة بالوحي الالهي مثل الاولية . فمن راجع ما نقلناهُ سابقاً في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر امية بن ابي الصلت وعدي بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقق ان عرب الجاهلية اطّلعوا بفضل النصرانية على كلّ اخبار التاريخ المقدس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين بابٌ آخر يثبت معرفة اهل الجاهلية بتاريخ العهد الجديد ايضاً اعني اخبار السيد المسيح واعماله وانجيله ومجيئهُ في آخر الازمان ليدين العالم . وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما رويناهُ سابقاً . وكلهُ يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معاً

٣ ومما يُستفاد من فصولنا السابقة ولاسيما ما اوردناهُ من الشعر الجاهلي ان العرب قبل الاسلام عرفوا ايضاً حقّ المعرفة : ١ً رُسلَ المسيح وحواريّيه وامهُ مريم البتول الطاهرة ويوحنّا المعمدان السابق امام وجههِ وبعض المبشرين بهِ في بلادهم من تلاميذهِ . ٢ً كنيسة المسيح ونظامها من بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة . ٣ً رُهبانَ النصارى واديرتهم وصوامعهم وقلاليّهم ومناسكهم في اعلى الجبال وسُرُجهم المتّقدة ليلاً وعيشتهم الشظفة . ٤ً بِيَع النصارى ومعابدهم وما تمتاز بهِ من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبان وصُوَر ودُمى ونواقيس . ٥ً أسرار النصارى وخصوصاً المعموديّة والقربان الاقدس والذبيحة الالهيّة المقدّسة تحت شكلَي الخبز والخمر . ٦ً اعياد النصارى كالدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسلّاق (الصعود) . ٧ً عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجّهم الى القدس الشريف وملابسهم الخاصّة . ٨ً امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل المصاحف الدينيّة من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووشيها بالرسوم وضروب النقوش الملوّنة . فكلّ هذه المعلومات تقوم مقام سفر جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحي بين عرب الجاهلية

٤ وقد اورثنا نصارى العرب فوائد تاريخيّة جمّة منها ما نُقل عنهم بالتقليد في اقدم التواريخ الاسلاميّة كالطبري يؤخذ منها خبر دخول النصرانيّة بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحي في جهات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش عليها . ومنها كتابات حجريّة رُقمت على الصخور بالقلم المسند الحميري فاكتشفها

السيَّاح في ايَّامنا واشرنا اليها في مقالاتنا السابقة وممَّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم . ومنها عاديَّات خلَّفتها الامم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب الى قدماء النصارى وبعض البِيَع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديماً بالقُلَّيس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر او كمثل كعبة نجران وغير ذلك ممَّا يُتَّخذ حجَّة لنسبة المعارف التاريخيَّة وغيرها اليهم

٥ وممَّا وقف عليه العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمهُ ومنهم مَن دعاهُ بالخضر . ويشهد على انتشار اكرامهِ في جهاتهم ان اقدم الكنائس النصرانيَّة التي بُنيت على اسمهِ انما شُيِّدت سنة ٣٦٧ في مدينة ثُغَة من اعمال حوران (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧) وقد تكرَّر اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة المكتشفة هناك . ومثلهُ القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرَّمان بين العرب في الرصافة والرقَّة وجهات الفرات . وكان بنو تغلب اتَّخذوا صورة الاوَّل كراية تتقدَّمهم في الحرب (راجع ديوان الاخطل ص ٣٠٩) قال :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعًا ومارِ سرجيسَ وسنَّا ناقعًا
وابصروا رايابنا لوامعا خلَّوْا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقاً انَّ اوَّل اثر من الخطِّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح اي ١١٠ سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبَد وصوَّرنا هناك صورتهُ (الجزء الاوَّل ص ٢٠٣—٢٠٤) . والاثر الثاني من الخطِّ العربي يرقى الى السنة ٥٦٨ م وُجد في حران من اعمال حوران كُتب على مشهد أقيم تذكارًا للقديس يوحنَّا المعتدان المكرَّم هناك

وكذلك اصحاب الكهف وهم شهداء أفسس الذين روي عنهم انَّهم هربوا من وجه المغتصب في عهد دقيوس قيصر فالتجأوا الى كهف اي مغارة وظلوا فيها نائمين السنين الطوال حتَّى افاقوا من سباتهم باذن الله وصاروا آيةً للقيامة . وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر اميَّة بن ابي الصلت كما ورد ذكر اصحاب الاخدود اي شهداء نجران الذين القاهم ملك اليمن اليهودي ذو نوَّاس في اتون النار (راجع سورة البروج في القرآن) — وذكروا تاريخ حبيب النجَّار زعموا انهُ رافق تلاميذ المسيح الى انطاكية وساعدهم في نشر دينهِ بين اهلها

٦ امّا التاريخ المدنيّ فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفاً لاسيّما تاريخ الامم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان . فمن ذلك ما انشدهُ اميّة بن ابي الصّلت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب (راجع في شعراء النصرانيّة لاميّتهُ ص ٢٣١) التي اوّلها :

ليطلب الوترَ امثالُ ابن ذي يَزَنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

وربّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلته الى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قَتَلة ابيهِ :

بكى صاحبي لمّا رأى الدرب دونهُ وايقَنَ انّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انّما نحاول ملكاً او نموتَ فنُعذرا

وخصّوا بالذكر بعضهم كنورق اي موريقيوس قيصر . قال الكندي يذكر بعض من فتك بهم الدهر (حماسة البحتري ع ٣٨٣)

واضيعَ أبرهَة الذي سجدَتْ لهُ سُمُّ الفيول صواتّاً لم تنطقِ
وأجبّ كسرى وابن كسرى بعدهُ والمرء قيصرَ وانتحَيْنَ لمُورِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقل او هِرْقل . قال لَبيد (ديوانهُ ص ٣٥) :

غلب اللياليِ مُلْكَ آلِ محرّقٍ وكما فَعَلْنَ بشُبَّمٍ وبِبِرْقلِ

امّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم اسماء ملوك سلالتهم الساسانيّة مثل كسرى وازدشير وهرمز

٧ ومن المرويّات العديدة التي نقلها اوّل كتبة الاسلام على علّاتها فاثبتوها باسانيدها الى بعض اهل الكتاب من نصارى ويهود ممّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربّما اشار اليها القرآن او نقل عنها الحديث يظهر انّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنّفات شتّى معظمُها لبعض المبتدعين او لكتبة مجهولين لا صفة لهم رسميّة في الكنيسة . وقد بقي منها اشياء في قصص الانبياء للثعلبيّ وغيرهِ . وفيها الغثّ والسمين . ومن هذه التآليف ما ورد ذكرهُ في الشعر القديم ولا نعلم من امرهِ شيئاً كقول بشر بن ابي خازم وقيل الطرمّاح في كتاب بني تميم (المفضّليات ص ٦٧٦) :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ احقُّ الخيلِ بالرَّكض المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانيّة او الحبشيّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا اشياء منها خصوصاً من كتاب « مغارة الكنوز » المنسوب زوراً الى القديس افرام . وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصهُ من الآثار الباقية فهو مع قلّته شاهد صادق على ما توخّينا اثباتهُ عن شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب (الى تابع)

تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان

للكاتبين البارعين عيسى اسكندر المعلوف والشيخ سليم الدحداح

اقترح بعض القرّاء على مجلّة المشرق هذا الموضوع الذي مع عظم شأنهِ لم يتعرّض لهُ حتى الآن احد من كتبتنا الادباء فرأينا ان ننتدب لهذا الامر كاتبين مدققين اعلم من سواهما بتاريخ لبنان نعني بهما عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلّة الآثار والشيخ سليم الدحداح صاحب المقالات التاريخيّة المستحسنة فاجابا الى ملتمسنا بما عُرفا بهِ من اللطف . فاستخلصنا مما كتباهُ ما رأيناهُ اقرب الى الصحّة واضفنا اليهِ ما وقفنا عليهِ من ذلك في مآثر الفرنج ل . ش

نظر اجماليّ في اصل الامراء الشهابيين واللمعيين

ليس من غرضنا ان ندوّن هنا تاريخ هؤلاء الامراء ونبحث عن اصلهم وفصلهم وكلّ يعرف ما احرزوا لهم من الشهرة وخلّفوا من الآثار في لبنان وانحاء الشام منذ قديم الزمان . فمن اراد تفاصيل اخبارهم عليه بالتواريخ المنشورة سابقاً كالغرر الحسان للامير حيدر الشهابي واخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس شدياق وليراجع ايضاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٦٩ و ٨٣٠) ما كتبهُ الشيخ ابو خطّار العنطوريني عن اصل الامراء والمشايخ في لبنان

انّا نقول بالاختصار انّ الامراء الشهابيين ينتسبون الى مالك بن الحرث بن هشام المخزوميّ الذي توطّن حوران في عهد عُمَر بن الخطّاب ونال فيها الامارة . وقد لُقّب مالك المذكور بشهاب باسم جدّهِ شهاب بن عبدالله . ثمّ انتقلت سلالتهُ بعد قرون الى وادي التيم فتملّكوهُ ولم يزل يتّسع نفوذهم حتّى اتّصلوا

بالمعنيين حكّام لبنان فصاهروهم ثمّ خلفوهم في الحكم بعد انقراض ذريّتهم بوفاة الامير احمد المعنيّ سنة ١٦٩٧ وقد بقيت امارة لبنان في يد الشهابيين الى السنة ١٨٤٢ . وهذه سلسلة امرائهم : ١ً الامير بشير الشهابيّ الاوّل من امراء راشيّا (١٦٩٧—١٧٠٧) استقرّ كاللمعيين في دير القمر—٢ً الامير حيدر شهاب من امراء حاصبيّا(١٧٠٧—١٧٣٢)—٣ الامير ملحم بكر الامير حيدر (١٧٣٢—١٧٥٤)—٤—٥ً ثمّ اخوا الامير ملحم : احمد وحده (١٧٥٤) ثمّ مع اخيه منصور (١٧٦٢—١٧٧٠) — ٦ً ثمّ الامير يوسف ابن الامير ملحم (١٧٧٠—١٧٨٨) — ٧ً ثمّ حفيد عم الامير يوسف بشير الثاني الملقّب المعروف بالكبير (١٧٨٨—١٨٤٠)— ٨ً آخرهم الامير بشير الثالث ابن اخي الامير يوسف (١٨٤٠—١٨٤٢)

امّا الامراء اللمعيّون فينتسبون الى بني فوارس وهي طائفة قدمت الى غربي لبنان من الديار الحلبيّة ومنهم كان ابو اللمع المتوفّى سنة ١٦٥٢ . كانوا اوّلًا معروفين بلقب مقدّمين ثم نالوا رتبة الامارة من الامير حيدر الشهابيّ لحسن بلائهم يوم عين دارة حيث انتصر القيسيّون وفي مقدّمتهم بنو شهاب على اليمنيين سنة ١٧١١ ثمّ صاهروا الشهابيين وغدوا عددًا وتفرّعوا الى عدّة بيوتات تولّوا على جهات المتن

٢ النصرانيّة بعد الصليبيين

لمّا انتهت الحروب الصليبيّة وطرد الفرنج من سواحل الشام في اواخر الجيل الثالث عشر أُصيبت النصرانيّة في سوريّة بضربة أليمة وصار لبنان تحت حكم الامراء المسلمين الذين تولّوا تدبيره باسم دولة المماليك المصريّة . امّا النصارى الوطنيّون فبقي منهم قسمٌ في المدن الداخليّة ولاسيّما دمشق وحلب وبعض المدن الساحليّة كصور وصيداء وبيروت وطرابلس وكان اكثرهم من الروم . امّا الموارنة فكان معظمهم في جهات لبنان وخصوصاً في انحائه الشماليّة وفي عكّار . وكان الروم واليعاقبة في القرى المجاورة لدمشق وحمص وحماة . ولم يبق من الفرنج الّا بعض التجّار أُقيم لهم بعد مدّة قناصل يُعنَون بمصالحهم ويتوسّطون بينهم وبين ولاة الدولة . ونال الرهبان الفرنسيسيّون ان يبقوا في خدمة النصارى في الاراضي المقدّسة وفي بعض مدن الشام كدمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصيداء وعكّا فاتّخذوا

لهم فيها اديرة بقيت آثارها الى اليوم . ثمّ تبعهم المرسلون الكرمليتان واليسوعيّون والكبوشيّون منذ القرن السابع عشر فتقدّمت بهمّتهم الطوائف الشرقيّة وزادت عددًا وفضلًا

وقد نال النصارى بعد الصليبيين اهانات ومحن شتّى لا حاجة الى ذكرها هنا . لكنّ تلك المصائب خفّت نوعاً لمّا صارت الامارة الى أُسرة آل مَعْن وكانت على مذهب اهل السنّة وقد اشتهر منها الامير فخر الدين الاوّل معاصر السلطان سليم فاتح الشام . وفاق عليه شهرةً حفيدهُ فخر الدين الثاني الذي قلّدهُ السلاطين امارة جبل لبنان وجبل الدروز ولعلّ ذلك الذي خدع بعض الكتبة فذهبوا الى كونه درزيًا والصواب انهُ كان مسلماً وانّما كان محبًّا للنصارى يتردّد اليهم ويمنحهم الامتيازات التي خُصّت سابقًا بالمسلمين ويستخدم المسيحيين في اكثر اعماله . وكثيرًا ما كان يجادل المرسلين ويتباحث معهم في امور الدين ويستحسن كلامهم في الدفاع عن النصرانيّة لاسيّما بعد سفره الى ايطالية ودخوله على ارباب دولها وخصوصاً غرندوق توسكانا ونظره الى رقيّ اهلها ودينهم فرجع الى بلاد الشام وقلبهُ يتلهّب غيرةً على اصلاح وطنهِ ليمتّعهُ بشيءٍ من تمدُّن الغرب . وفي غضون ذلك أُصيب الامير بمرض عضال في السنة ١٦٣٣ . وقد اخبر المرسل الكبوشيّ الاب ادريان دي لابروس انّهُ عادهُ في مرضهِ وعالجهُ حتّى شفي بنعمة من الله وعناية الاب فتنصّر واعتمد سرًّا وقد حضر عمادهُ كاخيتهُ الشيخ ابو نادر . ولمّا حاربتهُ الدولة وصار في حوزة الاتراك أرسل اسيرًا الى الاستانة فقُتل مع ولديه بامر السلطان مراد . ويقال انّهُ كان يحمل الصليب على صدرهِ وان احد اسباب قتلهِ شيوع خبر تنصّرهِ وثباتهُ في ايمانهِ والله اعلم (١

---

١) اطلب كتاب الاب هيلار دي برانتون (La France Catholique en Orient, p. 159—164) وتصداقًا على هذا الرأي ننشر هنا رسالة ارفقنا عليها حضرة الاب قسطنطين الباشا المخلصي ارسلها المطران يوحنا بن قرياقوس الحدرونيّ من بيت صندوق الذي انفذهُ البطريرك يوحنا مخلوف الى قداسة البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٥ م لتهنئته وكان ترجمان اللغات الشرقية عند ملك فرنسة مع القس جبرائيل الصهيونيّ الاهدنيّ ثم بعد بضع سنوات عاد الى لبنان فسثفه البطريرك وتوفي بعد قليل . وهذه الرسالة منقولة عن المجلد ٢٦٧٦ من سجلات مدينة فلورنسة في ايطالية وهي بحروفها :

٣ تنصّر الشهابيين

فلما قام بنو شهاب بعد المعنيين وهم مثلهم من اهل السنة وتقلدوا تدبير لبنان بدعوة امرائه واشرافه أثر فيهم تساهل بني معن مع النصارى فانتدبوهم الى اعمالهم وعهدوا اليهم بمهماتهم وجعلوهم في حاشيتهم . فانهم بعد ان كانوا في منطقة اسلامية اصبحوا في دائرة مسيحية ودرزية في جهات دير القمر واثّما غلب تأثير النصرانية فيهم على عمل الدرزية لأن الدروز كما هو معلوم يغالون في كتم سر معتقداتهم ولا يقبلون مهتدين لدينهم عملا ببدأ التناسخ فصارت اكثر معاملات هؤلاء الامراء الشهابيين مع نصارى لبنان من الموارنة خصوصاً فمهد ذلك الطريق الى تنصيرهم

ومن الدواعي اليه ايضاً انه كان الكثيرون الوطنيين والمرسلين الاوربيين مجالسات ومحاورات ومناقشات مع امراء الجيل من بني شهاب وآل بلمع فكان الامراء يستطيبون احاديثهم ويطالعون بعض كتبهم الدينية كالكتاب المقدس وسير القديسين ويشيادون صدقهم وعملهم الخيرية فانوا الى مساعدتهم في بناء الاديرة والمعابد . ورأوا في الديانة المسيحية زواجر ونواهي وعظات وآداباً اخذت بمجامع افكارهم . ذلك مع ما كان عليه غير المسيحيين من مناوأة الامراء الاقطاعيين وإرهاقهم وتقلب آرائهم وما اتخذه حكام الدولة المجاورون من اساليب العسف وفنون العنف حتى سئموا العيش معهم وازدادوا تقرباً من المسيحيين

ومما اخبره احد شيوخ لبنان الطاعنين في السن وكان عاش مدة في جوار بعض

« سلام الله الحي القدوس محي الاجساد والنفوس ومبدعها الى قرائنها باحسن الطقوس نخص به حضرة سيدنا واميرنا وفخر قومنا وسرور طائفتنا المارونية المالي القدير الامير فخر الدين المكرم

والذي يعرفه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران حنا الحدروني كاتب هذه المودية فهو ان قريب جاييكم بمكتوب كاحيتكم مصطفى بن حسن شبلي عن اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعدائكم والعاقبة للخير بمونة يسوع المولة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذرى مريم الدائم بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها آية تشابهها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحمه الجزيلة يجعلكم باهل وبصبركم (اميراً مسيحياً) طاعة البابا مؤيداً بالعز والنصر الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة المنزل من السماء بواسطة الكلمة الازلية سيدنا يسوع المسيح خلاص الزاغين الخلاص بالايمان المذكور . . . . » اه

المقربين من آل شهاب حكّام لبنان ان من اسباب تنصّر الشهابيين تحريض نسائهم لهم على التدين بالنصرانيّة لأنهن اجتمعن بارباب الدين المسيحيّ واستحسن تعاليمهم لاسيّما ما يخصّ الزواج القانونيّ بامرأة واحدة دون السماح بالإضرار والطلاق فأثّر ذلك فيهنّ اشدّ التأثير ودفعنّ ازواجهنّ الى التنصّر ففعلوا

واوّل امير يُذكر تنصّرهُ دون تعريف اسرته الامير عبدالله فهو على ما روى احد سيّاح الفرنج المعاصرين السيّر پول لوقاس (١ وقد اتّسع باخباره وذكر حادثة في غزير وانعطافهُ الى الآباء الكبوشيين واحسانهُ اليهم ببناء ديرهم والى عموم الموارنة ثم ما دهمهُ من المصائب من قبل حكّام الدولة وخصوصاً والي دمشق الذي طالبهُ بالمال الكثير ثمّ حبسهُ . وكان كثير الميل الى النصرانيّة فسعى الآباء الكبوشيّون بمساعدته في حبسه والعناية بامره في ضيقاته فطلب المعموديّة فعمّدهُ احد خدّامه الموارنة في سجنه بارشاد الآباء المذكورين فعدّ تنصّرهُ اكبر نعم حياته . ثمّ نُفي الى البصرة وفيها توفّي نحو سنة ١٧١٧ . ثمّ روى المسافر رجوع اولاده الى متصبهم وموالاتهم للمرسلين الكبوشيين دون ان يصرّح بنصرانيّتهم

امّا اوّل من تنصّر من الشهابيين فكانوا من ابناء ثاني امراء لبنان وهو الامير حيدر المتوفّى سنة ١٧٣٢ فخلّف تسعة ذكور من اربع زوجات : كان اكبرهم الامير ملحم الذي خلفهُ في الحكم ثمّ احمد وهما من زوجته الاولى الشهابيّة من حاصبيّا . ثمّ الامير عُمَر من زوجته الثانيّة امّ الامير مراد ابي اللمع . ثمّ الامير بشير من زوجته الثالثة ابنة الامير حسين قيدبيه ابي اللمع . ثمّ خمسة اولاد من زوجته الرابعة شقيقة زوجته الاولى الشهابيّة وهم الامراء منصور ومعن ويونس وحسين وعليّ

وقد تنصّر بينهم الامير عليّ وزوجتهُ سنة ١٧٥٤ وتمّ ذلك بواسطة الكاهن الماروني البيروتي الخوري مخائيل فاضل وهو الذي سُقف بعد زمان على بيروت ثمّ أقيم بطريركاً على الموارنة سنة ١٧٩٣ . وكان سبب تنصّرهما ما ورد في آثار قديمة انّ احدى بنات الامير عليّ مرضت مرضاً ثقيلاً حتى يئس اهلها من شفائها وانقطعت عنها حيلة الاطباء . فشفاها الله بواسطة ادعية الكاهن المذكور وكان يتردّد على

١) اطلب كتاب سفره :
Voyage du Sieur Paul Lucas, *Rouen*, 1719, pp. 319—327)

عائلة الامير فطلب مع زوجته سرّ العماد من يده فقبلها في الطائفة المارونيّة . وسلالة هذا الامير تسكن الى اليوم في وادي شحرور ومنهم الامير سليم منصور شهاب الذي قضى زمناً طويلاً في خدمة البنك العثماني في بيروت ثمّ توفي وهو نائب في مجلس ادارة لبنان عن قضاء المتن في مدّة الحرب الكونيّة الاخيرة . وقد عمّر الامير عليّ طويلاً فاربى على الخمس والثمانين من عمره وتوفيّ في وادي شحرور سنة ١٨١١

وكان في تلك الاثناء الامير ملحم يصادف في حكم لبنان من المشاقّ والصعوبات التي يعارضه بها ولاة الدولة وباخصوص والي صيداء اسعد باشا العظم الذي وُلي بعد مدّة امرة دمشق حتّى اضطرب بسببه جبل الامن فتبرّم من معاملاته الجائرة وجاهر بنفوره منه واستفحل الخلاف بينهما فنال الامير من سوء تصرّف عمّال الدولة نكبات ومصادرات يطول ذكرها . وقد رأى على خلاف ذلك من المسيحيين موالاة له في ضيقه واخلاصاً في خدمته كما رأى من الطوائف الاخرى اعراضاً عنه . وكان الكهنة من مرسلين ووطنيين وارباب الدين على اختلاف طبقاتهم يظهرون للامراء التودّد ويفاوضونهم بكثير من الشؤون التي تعود اليهم بالراحة وتنشر رواق الامن في اقطاعاتهم وبذلك حبّبوا اليهم النصرانيّة . فجعل الامير ملحم يرغب الى اولاده وانسبائه ان يتقرّبوا من النصارى ويتخلّقوا باخلاقهم . واثّر فيهم مثل الامير عليّ فاهتدى بعده الى الدين المسيحيّ المقدّس ثلاثة من اولاد الامير ملحم وهم الامراء سيد احمد وقاسم وحيدر انضمّوا الى الطائفة المارونيّة ايضاً

وفي اواخر سنة ١٧٦٩ تبعهم الامير قاسم ابنُ عمّهم عُمر وهذا كان استرضاه عمّاه احمد ومنصور لئلّا يزاحمهما في الحكم على لبنان وسلّماه حكومة غزير وازوجه الامير منصور احدى بناته . وكان اهتداؤه على يد السيّد يوسف اسطفان الوسطاوي مطران بيروت (وهو الذي صار بطريركاً بعد ذلك) استدعاه الامير وابدى له رغبته في التنصّر وطلب منه ان يرشده في معرفة الدين المسيحيّ فلبّى المطران دعوته وحضر الى غزير ولم يزل مهتمّاً في ارشاده حتّى وجده مستعدّاً لقبول العماد فنصّره هو وعائلته

وبعد بضعة اشهر ولد للامير قاسم ابنه البكر الامير حسن . ثمّ وُلد له في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٦٧ ابنه الاصغر الامير بشير المشهور بالكبير والمعروف بالاطي

اعظم حكّام لبنان الشهابيين فنشأ الولدان مسيحيَّين وعاشا وماتا في حجر الكنيسة من الطائفة المارونيَّة. ولا عبرة لبعض اوهام نشرها المفسدون بخصوص دين الامير بشير فلا طائل تحتها. وللامير بشير في المشاريع الدينيَّة والادبيَّة ايادٍ بيضاء من جملتها انهُ وهب الآباء اليسوعيين قطعة ارض في معلقة زحلة لبناء ديرهم وعاضد غيرهم. وكذلك تنصَّرت والدتهما وبعد وفاة زوجها الاوَّل اقترنت بالامير سيد احمد المتنصر كما سبق

ثم تبعهم بقيَّة الامراء الواحد بعد الآخر حتَّى انهُ لم تأتِ عليهم السنة ١٨٣٠ حتَّى شملتهم نعمة النصرانيَّة جميعًا وانتسبوا الى الامَّة المارونيَّة واتَّخذوا طقسها الَّا واحدًا منهم تبع الطقس الملكيّ الكاثوليكيّ. ولمَّا دخل المصريُّون بلاد الشام سنة ١٨٣٢ وجدوا الامراء مجاهرين بدينهم النصراني

ولا شكَّ انَّ هؤلاء الامراء عدلوا الى النصرانيَّة مستنيرين بنور الهداية الالهية. على اننَّا لا ننكر ايضًا انَّ البعض منهم دفعتهم اليها مصلحتهم وشؤونهم الخاصَّة اذ وجدوا انَّ معظم اهل لبنان نصارى موارنة وليس في الجبل من يزاحمهم على الامارة مع قلَّة المسلمين فيه الَّا المتاولة الذين كانوا يجاهرونهم بالعداء. فوجدوا انهم لا ينالون راحةً في جنوبي لبنان وشماله الَّا بمناهضة اهل الشيعة ومعاضدة النصارى فابعدوا الاوَّلين واسكنوا المسيحيين في اطراف الجبل وبتنصُّرهم اكتسبوا ثقة الاهلين فصار لهم بذلك حزبٌ انتمى اليهم وتعلَّق بهم شديد التعلُّق

ومما يثبت قولنا انَّ بعض الامراء المتنصِّرين كانوا اذا خالفوا الامير بشير يرتدُّون الى الاسلام ليستلطفوا ارباب الدولة كما جرى للامير حسن الاسلامبوليّ وللامير سلمان احد ابناء الامير سيد احمد (١) وغيرهما في اواخر القرن الماضي الذين عادوا الى الدين الاسلاميّ طمعًا بوظائف الدولة. اما الشهابيُّون في وادي التيم فهم مسلمون الى يومنا. وكذلك لم يتنصَّر كما زعم البعض الاميرُ يوسف الشهابيّ سادس

---

(١) سنة ١٨٣٠ م ارسل عبدالله باشا والي عكا خلعة الولاية في لبنان للامير حسن علي والامير سلمان سيد احمد الشهابيين لتغلُّبهم على الامير بشير الكبير. وارسل الشيخ محمودًا الدسوقي اليها ليرجعهما الى الاسلام

حكّام لبنان وانّما كان محبًّا للنصارى (١ وسعى بتحصيل القنصليّة الفرنساويّة في بيروت للشيخ غندور سعد الخوري مدبّره وابن مربّيه فنالها له سنة ١٧٨٦ بواسطة البطريرك يوسف اسطفان الذي اوفد لذلك الى لويس السادس عشر الخوري انطون القيالة البيروتيّ . وفي خزانة البطريركيّة المارونيّة جواب الاميرال دي كستريس الفرنسي الى الامير يوسف شاكرًا له عنايته

٤ تنصّر الامراء اللمعيين

سبق ان الامراء اللمعيين عضدوا الشهابيين والقيسيين يوم عين داره واباوا فيه احسن بلاء حتى نالوا لقب الامارة وأقطعوا المتن وزحلة وبعض البقاع وتصرّفوا في البلاد تصرّف الامراء وكانوا مثل بقيّة الطوائف التي قدمت من الجبل الاعلى في حلب من الطائفة الدرزيّة . وعُرف اللمعيّون بثلثة بطون : اولها آل قيدبيه حكموا في الشبانيّة ورأس المتن وصليما-بكفيّا وبرمّانا . وثانيها آل مراد حكموا في فالوغا وقرنايل والمتين والعباديّة . وثالثها آل فارس في بسكنتا ولكل امير منهم قصر او سراي لا يزال اكثر هذه القصور باقية انارها على طرزها القديم

وكان سبب تنصّرهم احتكاكهم بالنصارى في لبنان مثل انسبائهم الامراء الشهابيين واستخدامهم في امورهم ووقوفهم على خلوص سريرتهم . وكذلك تردّد ارباب الدين المسيحيّ اليهم من الرهبان الاوربيين او الاكليروس الوطني ومحاضراتهم في شؤون الدين . ولاسيّما مثل الشهابيين . المتنصّرين فرغبوا في النصرانية وعدلوا عن دينهم

والمشهور على ألسنة الامراء اللمعيين والقريبين منهم انّ اوّل امير لمعيّ تنصّر كان الامير اسمعيل من آل قايدبيه من امراء صليما المعروف بالشوّلح اكبر جسمه . وقد توفّي هذا الامير سنة ١٧٨٨ بعد ان نصّر اولاده وابناء آله . واصغر اولاد الامير حيدر الشهير قائمقام النصارى في جبل لبنان الذي ساعد الآباء اليسوعيين في بناء

(١ سنة ١٧٩٠ م أنس الجزار من الامير يوسف ميلا كثيرًا الى النصارى حتى نفذت كلمتهم لديه وخاصة الشيخ غندور ابن سعد الخوري صالح من رشميا فاصدر امره وهو في طريق الحاج من المزريب الى ناشبه في عكاء ان يرقب (يشنق) الامير يوسف ومدبره الشيخ غندور ففعلنا ثم ندم لانه كان منقلب الآراء قسيق السيف المذل

ديرهم في بكفيا وقُبر في كنيستهم (راجع المشرق ٤ | ١٩٠١ | : ٨٢٤)

اما طريقة اهتداء الامير اسمعيل وسنة اهتدائه فلم نعثر عليهما مع كثرة البحث عن ذلك . وانا نعرف انه قدّم صورة ايمانه لقداسة الحبر الاعظم بيوس السادس فاتحفه بثلاث صور قديمة من عمل اشهر المصورين تُرى حتى اليوم في معبد دارهم ببكفيا وارسل اليه برعة يحثّه فيها على حماية النصارى . وبالحقيقة ان الامراء اللمعيين عموما وآل قيدبيه خصوصاً ولاسيما الامير اسمعيل هذا واولاده الأمراء حسن وعساف وحيدر وحفدته كانوا اكبر ظهير للمسيحيين فكنوا النصارى في القرى من قرع الاجراس انذاراً باوقات الصلوات وكان ذلك قبلهم ممنوعاً بتّة ولقد ذكر وفاة هذا الامير كثير من مؤرخي عصره مثل القس كرامة الحصني والقس حنانيا منير الزوقي في تاريخيهما المخطوطين واثنيا عليه وعلى اعقابه من الامراء.

وفي تاريخ الرهبانيّة الانطونيّة القس عمنوئيل البعداتي (ص ٤٨٩) فوائد عن تنصّر بعض امراء اللمعيين في قرنايل وما يجاورها فاخبر ان الاب سمعان عريض وزملاءه لمّا عزموا على بناء دير لرهبانهم في قرنايل استقدمهم اليه وخاطب الاب سمعان بقوله انهُ يرغب في بناء كنيسة على اسم قديس اشتهر بالشجاعة والذود عن حرمة دين الله اكثر من سواهُ فاشار اليه الاب بالقديس الياس الحيّ واطلعهُ على سيرته المخطوطة في كتاب قديم فأعجب بها واصدر امرهُ ببناء الكنيسة ومال الى التنصّر والتقرّب من المسيحيين ومساعدتهم واوعز الى آله ان يعتنقوا المسيحيّة فكان ذلك نحو السنة ١٧٩٠ . واوّل من تنصّر من هؤلاء الامراء في قرنايل الامير بشير ابن الامير حسن ابن الامير يوسف اي حفيدهُ فقبل العماد من يد القس صموئيل من العباديّة وروميّة وبرمّانا . وكذلك امراء رأس المتن تنصّر منهم الامير فارس ابن الامير علي هو واولادهُ على يد الاب عمنوئيل سلام المتيني اللبناني المشهور . وكان هؤلاء الامراء يساعدون في تأسيس الديارات والمعابد والمدارس وينفقون على بعضها ويقفون لها العقارات والاراضي فنال النصرانيّة بهم شرف وفخر بازاء مواطنيهم . لكنّ الامر لم يكن ليروق لاصحاب الدولة خوفاً من تقوية العنصر المسيحي بتنصّرهم فلم يألوا جهدهم في القاء الفتن بين العناصر بارسالهم ولاةً الى الشام

وصيدا، وطرابلس الشربوهم بغض امراء لبنان فجرى ما جرى بسببهم من ضروب العسف والظلم والمشاغب والمذابح

هذه لمعة من تاريخ تنضر الامراء الشهابيين والمعنيين نقدمها لقراء الشرق مع اقرارنا بما فيها من اخلال ببعض الايضاحات والمعلومات راجين من فضل الادباء الواقفين على اخبار لبنان ان يفيدونا بما يرونه أوسع واثبت ولهم الشكر سلفا

مطبوعات شرقية جديدة

I FASTI DELLA CHIESA PATRIARCALE ANTIOCHENA da Ignazio Efrem II Rahmani Patriarca Antiocheno dei Siri. *Roma*, 1920. *in*-4, *pp.*36-XXXII

مآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية

قد افتتح غبطة السيد الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني المحاضرات التي نقدت في رومية منذ اوائل السنة الحاضرة بساعي المكتب البابوي الشرقي . وقد اختار لذلك موضوعاً عرفه حق المعرفة اعني مآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية التي يعدّ غبطته احدى حلقات سلسلتها الذهبية فتتبع خلاصة أعمالها ومشاهير احبارها مباشرة ببداءة الرسل منشئها الاول ثم وصف آثارها وكبار رجالها وعلاقات اصحابها مع الكرسي الرسولي في مدى الاعصار وما نال ابناءها من المحن في الحرب الاخيرة وقد اضاف غبطته الى ذلك عدة افادات عن رتب وطقوس الكنيسة الانطاكية وعن ما كان بينها وبين الكنيسة الرومانية من العلاقات ثم عن نسخة الاناجيل المقدسة السريانية المعروفة اليوم بالبسيطة وما تقدمها من نسخة سابقة قد فقدت واكتشف غبطته بعض مقاطيعها . فكانت هذه المحاضرة موضوع ثناء كل من حضرها من كرادلة واساقفة وعلماء فاتفقوا على وجوب طبعها وبذلك نلنا نحن حصتنا ايضاً من فوائدها الجمّة ونصوصها الشائقة اجزل الله ثواب غبطته ومتّعنا زمناً طويلاً بوفرة علومه

ل . ش

Ambroise Got : L'ALLEMAGNE APRÈS LA DÉBACLE. *Strasbourg, in-8, pp. XI-262, 1919,*

المانية بعد سقوطها

انّ الضربة التي أصيبت بها المانية بعد كسرتها اوقعتها في حيص بيص فقامت فيها الاحزاب المتباينة والعناصر المختلفة ومنازعات الطبقات القومية والمطامع الاشعبية التي يصعب الوقوف على ظواهرها ومكنوناتها. فاراد احد بني الالزاس الذين عرفوا مُجرها ومجرها ودرسوا حركات اهلها بعد سقوطها وهو الدكتور بالفلسفة امبرواز غوت من معيّة البعثة الفرنسوية الى برلين بعد الحرب ان يطلع الفرنسويين على ماجريات تلك الدولة بعد خلع الامبراطور غليوم الى اواسط السنة ١٩١٩ فاتى بكتاب غاية في الحسن والضبط فتتبع كلّ فصول هذه الرواية المفجعة واستقرى امور ممثليها من وطنيين واجانب ويهود واشتراكيين وذوي عناصر شتّى وكلّها أعقد من ذنب الضبّ فاماط الستر عن اسرارها ووفى كلا حقّه . ونتيجة ابحاثه هذه انّ المانية لا تستطيع ان تنهض من كبوتها مهما ساعدتها الاحوال الّا بعد السنين الطوال لاسيّما مع ما يلزمها ادائه من الضرائب والديون للاتحاديين والتعويضات عن كلّ ما دمّرته من البلاد . وذلك كلّه ثمرة حَلَف قيصرها المخلوع وتجاوزه كلّ حدود القناعة والانصاف الاب ج . لوفنك

Angell (Norman) : LE CHAOS EUROPÉEN, traduit de l'anglais par **André Pierre,** *Paris, B. Grasset,* 1920, *in*—12, *pp.* XV—144

الفوضى الاوروبية

كان صاحب هذا الكتاب نورمان انجلّ الانكليزي وضع قبل الحرب تأليفاً سعى فيه بان يوضح لمواطنيه ان الحرب لا يُرجى منها اصلاح الامور كما توهّم البعض وانّ شرورها اعظم من خيرها . واليوم قد وضع هذا الكتاب الثاني ليبيّن فيه انّ بنود الصلح التي صادق عليها مندوبو الدول في ڤرسايل تُنذر بأخطار جديدة وتعرّض اوربّة لفوضى مرهبة لحكمهم على الدول المركزيّة بالضغط والتذليل والاستعباد مع كونها هي برقيّها وسعة اعمالها ووفرة وسائلها كفء لانقاذ عموم الدول من ازمتها الاقتصاديّة فانّ الدول المغلوبة كالبقرة الحَلوب ان نُزعت اخلافها تضب

حليفها فلا بدَّ اذن من منحها الحرِّيَّة اللازمة لتصلح شأنها وتخدم باصلاحها بقيَّة الدول . ومن ثمَّ لا بُدَّ من تحوير معاهدة ڤرسايل . هذا رأي صاحب الكتاب ولا يبعد عن الصواب ارشد الله اولي الامر الى ما فيه خير العباد وتأييد حقوق العدل والانصاف الاب ج . لوقناك

Gautherot (Histoire) LA FRANCE EN SYRIE ET EN CILICIE. *Courbevoie*, 1920, *in*—12, *pp.* 210

فرنسة في سورية وقيليقية

مرَّت علينا سنة ونصف منذ رأينا على سواحلنا الراية المثلثة الالوان . وقد جرت منذ ذاك الحين عدَّة امور في سوريَّة وقيليقية نشرتها الجرائد متفرقة فكاد يحتار العقل في معرفة اسبابها وسوابقها ولواحقها فكنَّا نشتهي ان يطلعنا على سلسلتها كاتب ضليع وشاهد عيان فها نحن بهِ وهو الدكتور في الآداب غوستاف غوترو الذي رافق الحملة الفرنسويَّة الى الشام ثمَّ انتقل معها الى قيليقية وكان في ذهابه وايابهِ يدون كلَّ ما يحدث يوماً بيوم . فلمَّا اخذ افق السياسة ببعض الانقشاع جمع معلوماتهِ في كتاب غاية في التحقيق والتدقيق فذكر تاريخ هذه المدَّة الاخيرة ووصف الحوادث والاشخاص والعناصر وصفاً منزَّهاً عن كلِّ غرض لا يهمُّهُ سوى بيان الحقائق التاريخيَّة وكشف معمَّيات الاحوال الحاضرة . فنثني على همَّة الكاتب الذي عرفناهُ واطَّلعنا على مقدرتهِ ونوصي القرَّاء بمطالعة كتابهِ الجامع بين اللذَّة والافادة مع ما زيَّنهُ بهِ من التصاوير البديعة والخرائط ل . ش

APPEL AUX CATHOLIQUES DE L'UNIVERS POUR SAUVER LES MISSIONS ALLEMANDES, par **J. Neuhaesler**, *Munster*, 1920, *in*—8, *pp.* 26

استغاثة الكاثوليك في نجاة الرسالات الالمانيَّة

انَّ انتصار الدول الاتفاقيَّة على المانية وحلفائها قد أدَّى ببعض المتطرِّفين الى نفي المرسلين الالمانيين الكاثوليك من رسالاتهم الاجنبيَّة لئلَّا يتخذوا كما يزعمون الدعوة الدينيَّة كوسيلة الى نشر روح مدنيَّتهم وحبِّ وطنهم . وهو على ما نظنُّ خوف باطل لا اساس لهُ لأنَّ المرسلين الكاثوليك اعلى مقاماً واشدُّ تجرُّداً من أن يجعلوا الدين سلَّماً لمآربهم الشخصيَّة ومن ثمَّ نضمُّ نحن ايضاً صوتنا الضعيف الى اصوات المحتجِّين على هذه المعاملة الجائرة التي تحرم عدَّة بلاد من نعمة التبشير والتمدُّن المسيحي

ولا سيما بعد أن خسرت كثيرا من مرسليها بسبب آفات الحرب . فأمامنا اذن ان يسمع الاتحاديون دعاء قداسة الحبر الاعظم ويسهلوا للمرسلين قضاء مهمتهم الشريفة من اي جنس كانوا . ولا بأس من محاكمة الذين يتعدون طورهم ويتوسلون بالدين لغايات زمنيّة وهذا بعيد من افكار المرسلين الكاثوليك ل . ش

Un texte d'Eutychius relatif à l'Eléona (Extrait de la Revue Biblique, Juillet, 1914), par le R. P. RENÉ DUSSAUD des Missionnaires d'Afrique, p. 321.

عبارة لافتيشيوس المعروف بابن البطريق بخصوص كنيسة الينة

ورد في تاريخ ابن بطريق الذي تولينا نشره في مجموعة الكتبة المسيحيين (ص ٢١٦) ان كسرى أرسل جيوشه لفتح مدينة القدس خرب قائدهم اولا كنيسة الجمانيّة ثم « كنيسة الينة » فزعم العلامة كارمون غانو لاڤري الشهير ان هذه الكنيسة هي كنيسة السيدة المعروفة بالجديدة (Nea. Ntx) فكتب ابن بطريق بحرف عربي لفظها اليوناني . لكن حضرة الاب بورتين من مرسلي الآباء البيض تصدى له واثبت بهذه المقالة ان المقصود ليست تلك الكنيسة بل هي كنيسة القديسة هيلانة المعروفة باليونا (Eléona) فسماها ابن بطريق « الينه » . وهي التي اكتشف الآباء البيض آثارها في هذه السنين الاخيرة وكتب عنها الايوان كاي من الآباء البيض وقسطان الدومنيكي الفصول المهمة وهي التي اقامتها القديسة هيلانة فوق مغارة كان السيد المسيح يجتمع فيها مع تلاميذه في جبل الزيتون فيعلمهم وفيها اجتمع الرسل بعد صعود الرب فقرروا دستور الايمان والامل معقود على قرب تجديدها وقد يوشر حديثاً بتشييد كنيسة ملكيّة في مكانها على اسم قلب يسوع وضع حجرها الاول في اوائل كانون الثاني من السنة الحاضرة ل . ش

رسالة رعائيّة للسيد الجليل اغناطيوس مبارك مطران بيروت

في سرّ الزواج المقدّس

طبعت في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٣٠

قد أصيبت كرامة سرّ الزواج المقدّس في مدّة الكوارث التي دهمتنا في السنين الاخيرة بشيء من الامتهان اذ نسي بعض المؤمنين شرائعه القانونيّة فأحبّ سيادة

مطران بيروت على الموارنة انيتلافى هذا الخلل فوجه هذه الرسالة النفيسة الى الكهنة خدمة الرعايا في ابرشيته وصف فيها عظم شأن الزواج المسيحي وقداسته وذكر ما وضعته الكنيسة من القوانين لحفظ كرامته ودفعاً لما يتهدده من الاخطار بسبب الاهواء البشرية واختصر التقارير الواجب على الكهنة مراعاتها في عقد الزواج . فجاءت هذه الرسالة مفيدة للغيف الاكليريس من كل الطوائف فيحسن بهم انديطلعوا على مضامينها المدققة ل . ش

نظرة اجمالية في اعمال الجمعية الانطونية

طبع في مطبعة الاباء الفرنسيسكان في القدس الشريف سنة ١٩٢٠ ص ١٠

الجمعية الانطونية أنشئت في القدس الشريف سنة ١٩١٣ بهمة الاباء الفرنسيسكان تحت شفاعة القديس انطونيوس البادوي غايتها تعزيز الآداب ومساعدة المبؤسين فأتت من الاعمال المبرورة ما احرز لها عدة انعامات من الكرسي الرسولي وممثليه في القدس الشريف وفي هذه اللائحة ما يدل على مآثر اصحابها في سبيل الخير . فنهنئ الجمعية المذكورة ونرجو لها الثبات على خطتها وزيادة في النجاح

ديوان السموءل

رواية ابي عبدالله نفطويه

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي (طبعة ثانية مصححة ومزيد عليها)

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٠ (ص ٤٢ + ٥)

ان رواج هذا الديوان المنشور لاول مرة في المشرق سنة ١٩٠٩ ثم على حدة احوجنا الى اعادة طبعه . فاستفدنا من انتقاد العلماء على الطبعة الاولى واضفنا اليه عدة معلومات عثرنا عليها في مخطوطات ومطبوعات جديدة . ولا حاجة الى زيادة في تعريف ناظمه اذ اصبح اسمه اشهر من نار على علم

تاريخ الاداب العربية منذ نشأتها الى ايامنا

تأليف احد اخوة المدارس المسيحية (الفرير)

طبع بمطبعة الفرير في الاسكندرية سنة ١٩١٤ (ص ٦٩٢)

قد تعددت منذ عشرين سنة تواريخ الآداب العربية فظهر منها في المانية

(بروكلمان) وفي فرنسة (هوارت) وفي ايطالية (بيزي) ثم في مصر (جرجي زيدان — محمد عاطف ورفقاؤه — الرصفي — احمد الاسكندري — الاخ يلاج) ولكلّ هذه الكتب مزايا ونقائص . ولعل أحسن ما نُشر الى اليوم الكتاب الذي قدّمنا هنا عنوانهُ ظهر سنة الحرب فلم نطّلع عليهِ حتّى تلطّف واهدانا احد اخوة المدارس المسيحيّة في الثغر نسخةً منهُ فوجدناه احرى من غيره ان يوضع في ايدي تلاميذ المدارس لكثرة فوائده وحسن تبويبه وانسجام عبارته وتذييله ببعض الحواشي التاريخيّة واللغويّة واطلاع المؤلف على المصادر القديمة والحديثة التي ساعدتهُ على انشائه وقد عدّ بينها تآليف مطبعتنا الكاثوليكية ومجلّتنا المشرق . ومن خواصه اعتدالهُ في الحكم عن الكتبة الاقدمين والمحدثين دون مراعاة الوجوه في انتقاده وقد احسن اذ قَصَر الكلام على الموتى دون الاحياء . . على اننا لا ننكر انّ هذا الكتاب يحتاج الى تحسين وزيادة تدقيق في بعض التواريخ والتلطيف من بعض العبارات الشائنة الزائدة واختصار بعض تراجم المحدثين لعدم انطباقها مع سواها . وغاية ما نتمنّى ان يصبح هذا الكتاب كدستور امين وركن مكين لمعرفة الآداب العربية وتاريخها في المدارس العمومية ولا سيّما المدارس الكاثوليكيّة ل . ش

تنصيب قلب يسوع الاقدس ملكاً

مقالة من الافرنسية الخوري يوسف الدكاش (ص ٣٢)

طُبع هذا الكرّاس اجابة الى رغبة الحبر الاعظم بتكريس العائلات الكاثوليكيّة للقلب الاقدس وفيه الشروح الوافية عن اصل هذا التنصيب ومعناهُ وشروطه . فنحضّ الجميع على مطالعته مع ابداء الشكر لغيرة ناشره

شذرات

القديسة جان درك في لندن ونيويرك كلّ يعلم انّ الانكليز كانوا سبب الحكم على جان درك لانقاذها وطنها من يدهم بعد ان كادوا يبلعونهُ

بريطانية العظمى . فلما فكّر بيوس العاشر في اعلان تطويبها تنمّ قداستهُ العلم أيماكس الانكليز هذا العمل فكان جوابهم آية من الانصاف والعدل فأقروا ببرءة تلك الفتاة الشهمة ولم يعارضوا الكنيسة في اكرامها . وفي هذه السنة اذ اثبت البابا بندكتوس الخامس عشر قداسة جان دارك في امّ المدائن كان لهذا النبأ انعكاس صدًى في عاصمة الانكليز فأقيمت في ١٦ ايار الماضي في كتدرائية وستمنستر حفلات غاية في الفخامة حضرها علية القوم وممثلو العالم الكاثوليكي هناك وكان مزار القديسة يأخذ بالابصار لبهاء تزيينهُ الاكاليل وتخفق فوقهُ الرايات الفرنسوية والانكليزية . وفي نهاية الحفلة جرى في الشوارع المجاورة مهرجان عظيم لاكرام القديسة — ولم يشاء الاميركيون ان يتخلّفوا في مثل هذه الظروف فانّ سيادة رئيس اساقفة نيويورك اقام حفلةً دينيّة ذات رونق عظيم بمعاونة رهط كبير من ارباب الكنيسة ورؤسائها وكهنتها اشتركت فيهِ معظم الجمعيّات الاميركيّة وتلامذة المدارس الذين ارتفى عددهم على عشرة الاف . وأُطلقت في اثناء الحفلة المدافع تحيّةً للقديسة . ثمّ تولّت جوقة من ابرع الممثلين تمثيل ادوار حياة القديسة منذ حداثتها الى وفاتها ثمّ تمجيدها بعد موتها على صورة اخذت بمجامع القلوب مع مراعاة عادات الزمان وملابس العصر . وممّا احسنوا تمثيلهُ ظهور القديس ميخائيل للفتاة بين موكب من الملائكة ودفعهُ لها رايةً وحساماً وكذلك حضورها لبعض المعارك وفوزها بالانكليز ثمّ دخولها الى ريمس ظافرة وقيامها عن يمين ملكها ساعة تتويجهِ ملكاً على فرنسة فأبقت هذه الحفلات في القلوب ذكرًا مخلّدًا

الطاولات الدائرة في الصين ان للارواح الشريرة في الصين اعمالًا عديدة كثيرًا ما يصفها لنا المرسلون الكاثوليك في كتاباتهم تشهد على ما للابالسة في الممالك الوثنيّة من النفوذ . فممّا كتبهُ احدهم مؤخّرًا الاب دُوره اليسوعي شيوع تدوير الطاولات في هياكل اصنامهم على يد سَدَنتها . وطريقتهم في ذلك أنهم يتّخذون قِدرًا كبيرة يملأونها ماء ويغمسون في الماء طلسماً فيهِ ادعية للملك التنين ، ثمّ يعكسون طاولةً فيركبونها على القدر وقوائمها منتصبة ثمّ يتلو عليها كاهن الصنم الفاظاً سحريّة يزجر بها الشياطين وهو يرقص حولها بينما يمسك قوائمها اربعة من الحضور فلا تلبث الطاولة ان تدور بهم وتمور تارةً وتنخفض اخرى حتّى

يعيا لامسوها من اتباع حركاتها . وهم يعرضون عليها الاسئلة فتجيب عليها بضربات اصطلاحية او يربطون على احدى قوائمها قلماً صينيا بتدنده فترقم الجواب على الورق وتكون حينئذ مقرمة غير معكوسة . فترى ان تدوير الطاولات ليس هو فعلا طبيعيا كما يزعم البعض وان الكنيسة بتحريمه احسنت اي احسان

❊ مكافأة الحبر الاعظم لمحسنين صينيين ❊ اشتهر في هذه السنين الاخيرة كاثوليكي صيني اسمه « يوسف لو » من وجوه شانغاي بمبراته العديدة حتى دُعي « بقديس منصور دي بول الصيني » فهو اذا قام باكرا يسرع الى استماع القداس وتناول القربان ثم يطوف بيوت الفقراء والمرضى ويزور المحبوسين ويكرم على الجميع بماله ونصائحه وقد انشأ هو وحده مأوى جمع فيه ٢٠٠ من المبئوسين يقوم بكل حاجاتهم وحاجات الرهبات الاواتي عهد اليهن نظارته . وقد اجتذب بمثله كثيرين من مواطنيه للدين الكاثوليكي فلما بلغ خبره الى الحبر الاعظم منحه في كانون الثاني ١٩٢٠ وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كافلير وهذه اول مرة ينال احد الصينيين مثل هذا الامتياز — وكذلك منح اربع سيدات صينيات اشتهر ايضا بفضلهن في خدمة الدين الوسام المعروف باسم « لاجل الكنيسة والبابا »

❊ تكاليف الحرب على الدول ❊ نشر احد كبار الاحصائيين المسيو ادغار غرامون قائمة ما تكلفته كل دولة في الحرب الاخيرة مع نسبته الى غناها قال تكلفت بريطانية العظمى ثلاثة مليارات و ٥٠٠ مليون جنيه اي ١٢،٧ بالمئة نسبة الى غناها وتكلفت فرنسة عليها خمسة مليارات و ٤٥٠ مليون جنيه اي الربع من غناها وتكلفت المانية ثمانية مليارات و ٧٠٠ مليون اي ٢٦ بالمئة من غناها وتكلفت ايطالية ٩٠٠ مليون اي خُمس غناها وتكلفت بلجكة ٥٠٠ مليون اي نحو ٨ في المئة من غناها . فهذه نحو ٢٠ مليارا من الجنيهات فُقدت في سبيل الخراب والدمار بدلاً من ترقي العالم وخدمة الشعوب والاعمال الخيرية

❊ متحف التاريخ الطبيعي في لندن ❊ قد نشر مدير هذا المتحف السر هرمر (S^r Harmer) في مجلة الطبيعة الانكليزية ما بلغ اليه هذا المتحف في هذه السنين الاخير فان مجموع ما يحتويه في الحاضر من امثلة الحيوانات كبيرها وصغيرها ودقيقها من جميع الاشكال البرية والبحرية والهوائية يبلغ ستة ملايين عدا

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب يوسف افندي صفير : ١ً من هو البطريرك نوح اللبناني وماذا يعرف لهُ من التآليف ٢ً مَنْ هو يوحنّا مرمون الماروني الموفد الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر

البطريرك نوح اللبناني

١ً كان نوح من باقوفا وينسب الى لبنان أقيم اوّلًا اسقفاً على حمص في السنة ١٨٠٠ لليونان (١٥٨٩ مسيحيّة) ثمّ مغربانًا ثمّ عُهدت اليهِ البطريركيّة سنة ١٨٠٥ (١٥٨٤ م) فدُعي اغناطيوس الثاني عشر وكان من النحلة اليعقوبيّة . لهُ في المكتبة الواتيكانيّة تاريخ عربيّ من آدم الى زمانهِ . ولهُ ايضاً ميامر . توفي في ٢٨ آذار ١٦٠٩

٢ً اما يوحنّا مرمون فالظاهر انهُ كان من وجهاء قبرس ارسلهُ الى فرنسة سنة ١٦٩٦ مطران قبرس بطرس ضومط نائب البطريرك اسطفان الدويهيّ وشيوخ بيت الخازن ليطلب من الملك لويس الرابع عشر ومن وليّ عهدهِ ان يسعيا لدى السلطان بتلطيف معاملة ولاة الاتراك مع الموارنة ثمّ باقامة الشيخ حصن الخازن قنصلًا للدولة الفرنسويّة في بيروت وتعيين الشيخ ناصيف حاكمًا على جهات كسروان وشمالي لبنان . فاستقبلهُ الملك لويس بكل لطف وأنالهُ اكثر مطلوباتهِ وقد نشر الرحّالة لاروك (ج ٢ ص ٣٠٨—٣١٥) ما نالهُ مرمون من الامتيازات في فرنسة اذ انتظموهُ في سلك فرسان سيّدة الكرمل وفي جمعيّة القديس لعازر الشرفيّة . فعاد الى الشرق بجواب الملك على الرسائل الموجّهة اليهِ من الموارنة . واجتاز في طريقهِ بالاستانة حيث اكرم مثواه المركيز دي شاتونوف سفير فرنسة لدى سلطان الاتراك والتمس للموارنة عدّة نعم من الدولة العثمانيّة . فلمّا عاد مرمون الى بلاد الشام اقام في عكّا متاجرًا الّا انّ عمّال الدولة اساؤوا اليها فطلب من ملك فرنسة ان يقبلهُ في فرقة من جنودهِ مع ٣٠ و ٤٠ مارونيًّا لكنّ الملك لم يجب الى ملتمسهِ . ولم يُذكر عنهُ شيءٌ آخر في التاريخ بعد ذلك

ل . ش